

محمود سبلي

حياة داوود

دار الحديث
بيروت لبنان

حياة داوود

حمود شلبي

حياة داود

دار الحديث
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

دار الجيل

ص.ب. : ٨٧٣٧ بيروت

هاتف : ٢٦٦١٥٨

بيروت - لبنان

الامداء

اللهم ... منك ... وإليك

حمود شلبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أحمد الله ... حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ...

وأصلي ... وأسلم ... على سيد النبيين وسيد المرسلين ...

وبعد ...

ماذا أقول ... وماذا أستطيع أن أقول ... في نبي الله ... داوود ...
عليه السلام ...

ماذا أقول ... في صاحب وسام « وآتينا داوود زبوراً » ؟ !

ماذا أقول ... في صاحب ... تاج « إننا سخرنا الجبال معه يسبحن
بالعشي والاشراق » ؟ !

ماذا أقول ... في صاحب لؤلؤة « وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة
وفصل الخطاب » ؟ !

أو ماذا أقول ... فيمن ناداه مولاه « يا داوود إنا جعلناك خليفة
في الأرض » ؟ !

داوود ؟ !!

النبي ... الملك ... موجّه شمعان ..، لوره ... بحر زاخر ... اقرأ ...
واستمتع ... وقبّل ... « سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين » .

١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

عمود ثلبي

وكلمة ... الله ...

هي العليا ... ١٤

اعلم . . .

ان سبيلنا في الكتابة . . . عن الأنبياء . . . ان نؤسسها على القرآن العظيم . . .
فما اعتمده اعتمده . . . لأن الأنبياء سفراء الله . . . إلى الناس . . . ولا
يعلمهم حق العلم . . . إلا الله . . . « الله أعلم حيث يجعل رسالته » . . .
ولما كان القرآن العظيم . . . هو أصدق مرجع على الاطلاق في الأرض . . .
« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » . . .
لزم أن يكون هو العمدة . . . في الكتابة عن حياة الأنبياء . . .
لأن الأنبياء . . . صادقون صديقون . . .
حياتهم صدق . . . وكلامهم صدق . . . وأحوالهم صدق . . . وظاهرهم
وباطنهم صدق . . .
فتحتم أن يكون المرجع الأول في الكتابة عنهم . . . أصدق المراجع . . .
وأصدق الكلام . . . وأصدق الحديث . . . وذلك هو القرآن العظيم . . .
« ومن أصدق من الله حديثاً » ؟ !
ولو اتبع الناس هذا السبيل . . . ما وقع . . . ما وقع في قصص الأنبياء . . .
من أساطير . . . نسبت اليهم . . . صلى الله عليهم . . . زوراً وبهتاناً !!!
ويتلقفها الجاهلون . . . ويفرهم تسطيرها في بعض الكتب . . .
فيزيدهم تصديقاً !!!

كلا . . . انهم أنبياء الله . . . أحق من يتحدث عنهم . . . كتاب الله !
فما جاء فيه عن نبي من الأنبياء . . . تلقيناه بالتعظيم والتمجيد . . . وسارعنا
إلى تصديقه . . . وفصلناه تفصيلا . . .

عملاً بقوله تعالى « وكلمة الله هي العليا » . . .

ثم يأتي من بعدها . . . ما صح . . . عن النبي صلى الله عليه وسلم . . .
عن الأنبياء . . .

لأن أولى الناس بالحديث عن الأنبياء . . . نبي الأنبياء . . . وإمام النبيين . . .
وخاتم النبيين . . .

ولا يفهم الرجل إلا من كان في مستواه . . . أو هو أعلى . . .

والنبي صلى الله عليه وسلم . . . نبي مثلهم . . .

ثم هو أعلى . . .

فإذا تحدث عنهم . . . تحدث عن أمثاله . . . وأشباهه . . .

ولما كان حديثه صدقاً . . . « إن هو إلا وحي يوحى » . . .

ومقامه أعلى مقام . . .

جاء حديثه عن اخوته الأنبياء . . . أصدق حديث عنهم . . . وأعلى
حديث . . .

فلزم من كل ذلك . . . أن تكون أحاديثه صلى الله عليه وسلم . . . عن
الأنبياء هي المرجع الثاني . . . بعد كتاب الله العزيز . . .

ثم يأتي من بعد ذلك . . . ما استقام واعتدل . . . من أقوال الأعلام والعلماء . . .
رضي الله عنهم وأرضاهم . . .

ثم شيء آخر . . . يلزم الإشارة إليه . . .

ان حياة الأنبياء ... ليست حياة وقائع وحوادث ... كما هي حياة سائر
الناس ... وإنما هي في المقام الأول ... حياة أنوار ...

اعني أن أقول ... قد لا تجد في حياة نبي من الأنبياء ما يبهرك من الحوادث
العظام ... كما تجد ذلك في حياة بطل من أبطال التاريخ ...
فيمتعجب الجاهلون : كيف هذا !؟

فإنك قد تجد في حياة نابليون - مثلاً - من الوقائع التاريخية الضخمة
ما يبهرك ...

أكثر مما تجد - مثلاً - في حياة أيوب - عليه السلام - من الوقائع
التاريخية ...

وسبب ذلك ان حياة الأنبياء ... انما هي أنوار ...
والنور ... نور في ذاته ... يتلألأ ... انعكس على الأشياء أو لم ينعكس ...
فعظمة أيوب - عليه السلام - عظمة ذاتية ... عظمة شخصية عليا ...
نور ذاتي ...

ليس في حاجة إلى كثير وقائع ... كي يظهر ويتشمع ...
فالذين ينظرون في حياة الأنبياء ... على أنها تاريخ أشخاص ... لهم وقائع
وحوادث معينة ...

إنما ينظرون إلى أفق محدود ... يحجبهم عن الأفق الأعلى ... من
حقائق الأنبياء ...

وهذا أخطر خطأ يقع فيه بعض الناس ...
خطأ يجرهم ... من أبعج ... وأجمل ... وأرقى ... وأسمى ... وأعلى ...
وأعلى ... ما في الأنبياء ...

إنما مثلهم كمثل رجل ... نظر الى قطرة من بحر ... ثم صاح : ها هو

البحر ... إني قد رأيت البحر !!!
وما رأى ... وما علم عن البحر شيئاً !!!
نحن في حاجة شديدة إلى دراسة الأنبياء ... على أنهم أنوار ... لا على أنهم
تاريخ ووقائع ...
نحن في حاجة إلى رؤية البحر ... ولسنا في حاجة إلى أخذ قطرة منه ...
ونحسبها بحراً !!!
ولا نعني بذلك إهدار الوقائع التاريخية من حياة الأنبياء ...
كلا ... وإنما نعني ... إضافة أفق أعلى ... إلى الأفق الأدنى ...
أفق الوقائع ...
ان الأنبياء حقائق ... أعلى حقائق ...
ان الأنبياء ... بحار ... أوسع بحار ... تتوج بموج كالجبال ...
ان الأنبياء ... أمواج ... أعلى أمواج ...
لكل نبي موجته الخاصة ...
ان الأنبياء ... أنوار ... لكل نبي نوره ...
فمن الظلم أشد الظلم ... لنفسك ... أن تحصرها في سجن الوقائع ...
وأنت تنظر إلى حياة الأنبياء ...
ولكن انظر بعين قلبك تبصر من أمورهم عجباً !!!

ابھٹ ... لفا ...
... ملکا ...

جمال ...

الأنبياء ... ليس كمثلته جمال !!!
وأسلوب اختياريهم ... ليس كمثلته أسلوب ...
ذلك ان الذي يختار هو الله ... الذي ليس كمثل اختياره اختيار ...
وأن الذين يختارهم ... ليس مثلهم من أحد في الأرض ولا في السماء ...
و « قل الحمد لله ...

« وسلام على عباده الذين اصطفى » !!!
وسوف ترى ... بإذن الله ... كيف كان اختيار داوود ...
وكيف اصطفاه ربه ... ورباه ...
وكيف كان ... هو ... وليته ومولاه !!؟
ولنسمع الآن ... إلى كلام الله العزيز ... يقص علينا القصص الحق ...
« ألم تر إلى الملائكة »

« ألم تعلم ... ألم يأتكم نبأ هذه القصة التاريخية ... إذ اجتمع الأنسراف
والوجهاء ... وأولو الحول والطول ...

« من بني اسرائيل »
من شعب بني إسرائيل ...
« من بعد موسى » من بعد موسى بنحو أربع مائة سنة ...

ذاقوا فيها النصر تارة على أعدائهم من حولهم ...
والهزيمة تارة ... على أيدي جيرانهم ...
ثم انتهبوا إلى التمزق والهوان ... إذ غلب عليهم عدوهم ... وساب منهم
تابوت الرب ... الذي كانوا يستنصرون به على أعدائهم ...
« إذ قالوا لنبيهم لهم »
إذ ألحوا وكرروا القول ... وكرروا المطالبة من نبيهم لهم ...
وهو صويل ... عليه السلام ... وقد تقدمت به السن ... وخافوا أن
يتبدد شملهم من بعده ...
« ابعد لنا ملكاً » اختر لنا بمعرفتك ملكاً ... كما للأمم من حولنا
ملوك ... يسوسون أمرهم ... ويقودون جيوشهم ...
ابعد لنا قائد ثورة ...
فإن أحوالنا ... لا بد لها من قائد ثائر ... ينفخ الروح فينا ...
ويقودنا إلى أعدائنا ... ونسترد عزتنا التي ضاعت وتبددت ...
هذا مطلب الشعب ...
وهي ثورة وفورة ...
ولكن الأنبياء ... يدركون من خفايا النفوس ... ما لا تدرك
الجمهير الثائرة ...
« نقاتل في سبيل الله »
يقودنا جميعاً ... إلى الحرب ضد أعدائنا ... لتكون كلمة الله
هي العليا ...
كلام جميل !!!
يخدع الكثير ... ولكنه لا يخدع الأنبياء ...

فانظر إلى نبي الله صمويل ... ماذا واجه به هؤلاء الشائرين ؟ !
« قال » صمويل ... عليه السلام ... وأرسل شعاعاً من اشعاعات النبوة ...
« هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا » ؟ ! ... صدمة أليمة
للشعب ... لقد كان المنتظر أن يشجعهم ويركب موجة الحماس معهم ...
ولكن ... لا ... إن الأنبياء على علم علّتي ... لا يسمح لهم بالمجاملة
والمداهنة ...

فأعلمها صمويل اليهم ... ان الله إذا فرض عليهم قتال أعدائهم ... فإن
أكثر هؤلاء الذين يتصايحون الآن بالقتال والدمار للأعداء ... سوف
لا يقاتلون !!!

وهذا هو الفارق الواضح ... بين الأنبياء ... والزعماء ...
الزعماء يركبون موجة الجماهير ... وينفخون فيها ... لتشتعل ... وتصفق
لهم الشعوب اعجاباً ... ببطولتهم ومواقفهم ...
أما الأنبياء ... فإنهم لا ينطقون إلا الحق ... رضي الناس أم سخطوا ...
أقبلوا عليهم أم أدبروا ...

فماذا قال زعماء الشعب ؟ ! « قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد
أخرجنا من ديارنا » أي شيء يدفعنا جميعاً إلى الحرب وقتال الأعداء ... أكثر
بما نحن فيه ؟ !

احتلوا أرضنا ... وطرّدونا من ديارنا ... وبيوتنا ...
« وابناؤنا » وأسروا شبابنا ... ونساءنا ... ومزقونا شر ممزق ...
فما طعم الحياة بعدهم ؟ !!
« فلما كتبت عليهم القتال » فلما بعثنا لهم ملكاً كما طلبوا ... وفرضنا
عليهم الحرب ...

« تولوا » فرّوا من الحرب ... وزاغوا ... وظهر صدق نبيهم ...
وكذب أكثرهم ...

« إلا قليلا منهم » إلا عدداً قليلا منهم ...

الملايين النائرة ... كانت تصفيتها ... ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً !!!

« والله عليم بالظالمين » يعلم أن هؤلاء يكذبون ... وأنها مجرد هياج لا حقيقة
له في أعماقهم !!!

طالوت ... ملكا ...

« وقال لهم نبيهم » ولما ألحوا على نبيهم صمويل ... عليه السلام ... قال لهم ... قال لزعمائهم ...

« ان الله » ان الله أوحى إليّ ... وليس الأمر مني ... ولكن الله هو الذي اختار ...

« قد بعث » اشارة إلى أن مهمته هي بعث شعب ميت ... افاة شعب لاستخلاص حقوقه من غاصبيه ...

رسالته أن يكون قائد ثورة ... قائد تحرير ...

باعث نهضة ... باعث شعب ... إلى الحياة الحرة الكريمة ...

سبحان الله !!!... في كل كلمة من كلام الله المجيد... أسرار... وأنوار... وبحار... لا تنفذ !!!

« لكم » أنتم ... رسالته ومهمته محصورة فيكم ... وفي انقاذكم من أيدي أعدائكم ...

« طالوت » وهو رجل من عامة الشعب ...

« ملكا » يملك عليكم ... ويدبر شئونكم ...

« قالوا » قال الأشراف والزعماء ... الذين كانوا يلحون في طلب من يكون عليهم ملكاً ...

« أني » من أي سبيل ... وكيف يمكن أن يكون هذا الرجل البسيط ...

« يكون له الملك علينا » ونحن أهل الحول والطول ... وأهل العقل والتدبير !!!

« ونحن » وأي فرد منا... « أحق بالملك منه » فينا العلماء... والوجهاء... والزعماء ... وهذا ليس فيه شيء يؤهله للملك ...

« ولم يؤت سعة من المال » انه رجل فقير ... مُعْدَم ... فأثنى لفقير كهذا
أن يتولى الملك علينا ..؟

انها العقدة الخالدة ..!

ان الناس يقوّمون الأشخاص بنسبة أموالهم ...

فالرجيه عندهم ... صاحب الثروة ...

والشريف عندهم ... صاحب الجاه والسلطان ...

وضعت لي ذنباً ... ووضع الناس لهم نسباً ... أما نسب الناس فالمال ...
وأما نسبي فإن أكرمكم عند الله أتقاكم ... فالיום أضع نسبهم ...
وأرفع نسبي ...

انها العقدة الخالدة ... في جميع الناس ...

وإنها لمصيبة ... تدل على الغباء العام ... في تفكير أكثر الناس ...

لقد كانت مفاجأة لهم ... ان يقع الاختيار على طالبوت ...

لأنه مجرد فرد من الشعب ... لا يخطر بباله أن يكون ملكاً ... كما لا يخطر
ببالهم أن يقع عليه الاختيار للملك ...

« قال » نبيهم صمويل ... عليه السلام ...

« ان الله اصطفاه عليكم » إن الله هو الذي اختاره ملكاً عليكم ...
وما فعلته عن أمري ... ولكن الله هو الذي اختاره ... وأمرني بذلك ...

« وزاده بسطة في العلم » وآتاه مستوى رفيعاً ... من العلم ... الذي
لا يوجد عند أحد منكم ...

« والجسم » وزاده بسطة في الجسم ... فهو يتفوق عليكم جميعاً في اللياقة
البدنية ... ليس منكم من يساميه علماً ... أو قد يوازيه جسماً ...

وهذا هو المطلوب توافره ... فيمن يقوم بمهمة قائد ثورة شعب ...
لاستخلاص حقوقه ... كشف النبي لهم سر الاختيار ... ليقطع ... منهم
وساوس الاعتراض ...

بسطة في العلم والجسم !؟

فما هي بسطة العلم ... وأي علم هذا ... هل هو علم من علوم الدنيا ... أو
علم من علوم الآخرة ... أو هو شيء غير هذا وذاك !؟
وما هي بسطة الجسم ... هل هي مجرد القوة البدنية ... أو هو شيء
غير ذلك !؟

وللجواب على هذه الأسئلة نقول ...

كل قائد ثورة ... كل قائد تحرير ... كل من يتصدى لقيادة شعب من
الشعوب ... كل رجل يقوم بمهمة التغيير في مسار الأحداث التاريخية ...

لا بد ... ويتمحتم أن يتميز بهاتين الصفتين ... بسطة في العلم ... بسطة
في الجسم ...

والعلم المطلوب هنا ... هو عبقرية الإدراك السياسي ... وهذا علم يُوهب
من الله ... ولا يكتسب من الكتب ...
انه العبقرية السياسية ...

انه الأفق الواسع ... الذي يمكنه من رؤية ما لا يبصر سواه ... من عامة
الجمهير وخاصتهم ...

نأخذ على ذلك مثلاً ... عمر !؟ ..

ذلك العبقرى العجيب !.

وفي الحديث « لم أر عبقرياً يفري فريته » ..!
إن أصحاب رسول الله ... صلى الله عليه وسلم ... كثير ... وكلهم
يمتازون ... بمزايا عليا ...

ولكن لماذا عمر بالذات ... من بينهم ... ارتفعت هامته ... هذا
الارتفاع الشاهق ؟!

لا نتحدث هنا ... عن الأفضلية ... وإنما نتحدث عن صفة معينة ...
توفرت في عمر ... فتشعشت منها ... تلك العبقرية الفذة ... في التاريخ ...
ما كان منه أو ما سيكون !..

إنها صفة العبقرية السياسية ... التي وهبها الله لعمر ... ولم يتلقاها من
دراسات ... وإنما تلقاها من الله رأساً ...

وإنما تنحصر مهمة الدراسات ... إذا صادفت عبقرياً من هؤلاء العباقرة ...
تنحصر في تنمية تلك الصفة ... المكنونة في أصحابها ...

لقد تلقى الصحابة رضي الله عنهم ... جميعاً ... عن رسول الله ... صلى
الله عليه وسلم ...

فماذا هذا الإبداع العجيب من عمر ؟!

لماذا منه هو بالذات ؟!

إنها صفة ... كانت مكنونة فيه ...

فلما آنست من جانب الطور ناراً ... اشتعلت وأنارت ... وتشعشت ...
وشعت ... فكانت هذه البدائع والروائع !..

هذا مثال ...

وهذا هو العلم ... الذي يتحتم ... وجوده في كل قائد ثورة ... تغير مجرى
أحداث التاريخ ...

وهذه الصفة ... لا يعلمها إلا الله ... من عباده ... لأنها مكنونة ...
شأن كل صفة نفيسة في الإنسان ...

يسترها الله ... عن الأعين صيانة لها عن الابتذال ...

حتى تكون الأحداث ... المناسبة لظهورها ... فتظهر في حينها ...

فيقف الجاهلون حيارى يتصايحون : أنى يكون له الملك علينا ... ولم
يؤت سعة من المال؟! .

ماذا كان عمر ... قبل إسلامه؟! .

لا شيء ...

ثم ماذا كان عمر ... بعد إسلامه؟! .

العجب العجاب! ..

لقد ظهرت الصفة المكنونة ... وجاءتها الأحداث المناسبة ... فكان
ما كان ... مما يضيّق عنه البيان! ..

هذا هو العلم المراد هنا « وزاده بسطة في العلم » ... زاده عليكم ... صفة
عليا ... مكنونة فيه ... يراها الله ولا ترونها ... ويعلمها ولا تعلمونها ...

انه ينظر من أفق أعلى ... ويبصر ما لا تبصرون ... ويعلم ما لا تعلمون ...

وتشتعل نار الحسد ... في نفوس الحاقدين ... ويصيحون صيحة واحدة
« أنى يكون له الملك علينا ... ونحن أحق بالملك منه »؟! .

نفس المنطق المريض ... منطق أهل الجهل والغباء « لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريرتين عظيم »؟! .

الإنسان هو الإنسان ...

تختلف الجزئيات ... وتبقى الكلمات هي هي! ..

ولو أنك استطعت أن تحصي ... عباقرة الشعوب ... من قادة الثورات ...
التي غيرت حياة شعوبها ... لتبين لك على الفور ... أن الصفة التي تفتنهم
جميعاً هي « بسطة في العلم والجسم » ..!

ولا أطيل عليك ... في سرد الأمثال ... فليس هذا مكانه ...

وإنما أتقل بك ... إلى الصفة الأخرى ... « والجسم » ...

يتحتم أن يكون قائد الثورة ... بطلاً ...

بكل مظاهر البطولة ... في الجسم ...

لأن الكمال البطولي ... كمالان ... باطن ... وظاهر ...

أما الباطن ... فهو « بسطة في العلم » ...

وأما الظاهر ... فهو « والجسم » ...

لأن الرجل الضعيف البنية ... الهزيل الجسم ... لا يشير احترام الجنود ...
حين يقودهم في المارك ... التي تعتمد في المقام الأول ... على قوة الأجسام ...
حين يشتمل الوطيس ...

إن الناس يريدون قائدهم مثلاً في الكمال الظاهر ... ومثلاً في الكمال
الباطن ...

إن البطولة ... هي التفوق والامتياز ...

فينبغي أن يكون قائد التحرير ... والثورة ... ممتازاً في ظاهره ...
وباطنه ...

وقد كان هذا موجوداً في طالوت ...

شاب بطل ...

جميل الخلقة ... قوي البدن ... يثير الإعجاب والاحترام ...

فضلاً عن امتيازه الباطن ... فقد كان عبقرياً ...

فماذا قال لهم نبيهم حين رفضوا اختيار طالوت ملكاً؟!

« والله يؤتي ملكه من يشاء » من عباده ... وهو أعلم بهم ... وأعلم بمن

يصلح للملك ... ومن لا يصلح ... « والله واسع » أحاط بكل شيء علماً ...

« عليهم » وسع كل شيء علماً ... ويعلم ان طالوت ... هو أصلح من يكون

عليكم ... في هذه الظروف ملكاً ...

وقتل ... داوود ...
جالوت ...!

رفض . . .

أكثر الشعب اختيار طالوت ملكاً . . .

وقال بعضهم : نريد آية . . . نريد معجزة من الله . . . تدل على أن الله اختاره علينا ملكاً . . .

« وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيتكم التابوت « ان يعود اليكم تابوت العهد . . . الذي سلبه منكم أعداؤكم . . . وهو صندوق فيه التوراة . . . وكانوا يقدمونه أمامهم في معاركهم مع أعدائهم . . . فإذا رأوه نزلت عليهم السكينة وانتصروا على أعدائهم . . .

« فيه سكينة من ربكم » تنزل عليكم إذا رأيتموه عائداً اليكم سكينة من ربكم . . .

« وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون » وفي التابوت بقية مما ترك موسى وهارون . . . قيل : هي عصا موسى . . . ورضاض الألواح . . .

« تحمله الملائكة » أي يأتيتكم تابوت العهد . . . تحمله الملائكة اليكم . . . معجزة من ربكم . . . لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وان الله قد اختار عليكم طالوت ملكاً . . .

وحدث هذا . . . وجاءم التابوت . . . تحمله الملائكة . . . أمام أعينهم جميعاً . . .

فلا سبيل أمامهم إلا التسليم . . . فهل سلموا تسليماً؟! . . .

كلا . . . سلم البعض . . . ورفض البعض . . . وناصبوا طالوت العدا . . .

وخاض طالوت ... قائد الثورة ... المارك التي لا بد لمثلها أن يخوضها مع أعدائه في الداخل والخارج ...

بدأ يواجه المشاكل الداخلية ... ومكائد الحاقدين ...
وفي نفس الوقت ... عليه أن يوحد الشعب ... ليواجه به الأعداء في الخارج ...

وأحس الأعداء أن طالوت يجمع الشعب ويوحده وينظمه فحشدوا له حشداً عظيماً لقتاله ... وخرج على رأس الجيش قائد رهيب لا يجرؤ أحد على نزاله ... هو جالوت ...

وخرج طالوت على رأس جيشه ... لمحاربة جالوت وجنوده ...

« فلما فصل طالوت بالجنود » فلما ابتعد طالوت بالجيش ... في طريقه إلى ساحة القتال ...

« قال ان الله مبتليكم بنهر » أيها الجيش ... أيها الضباط ... أيها الجنود جميعاً ... ستمرون على نهر ... سيختبركم الله به اختباراً شديداً ... سيشتد عطشكم ... وتشتد رغبتكم في الشرب من مائه ... فاحذروا ...

« فمن شرب منه فليس مني » فمن شرب من ماء ذلك النهر ... حتى يشبع ... فليس مني ولا أنا منه ... لأنه اتبع شهواته ... ومن لم يصبر على الماء ... لا يصبر على الموت مع الأعداء ...

« ومن لم يطعمه فانه مني » ومن لم يذق له طعاماً ... ولم يقترب من مائه ... فإنه مني ... من جنود الله ... من الطائمين لأمر الله ...

« إلا من اغترف غرفة بيده » إلا من أخذ ماء كفه الواحدة من الماء

وشربها ... ليذهب حرارة العطش ... هذا القدر مسموح به للضرورة ...
ولدفع الهلاك ...

أمر صريح ... من القائد الأعلى للجيش ... إلى جميع أفراد الجيش ...
وسار طالوت على رأس جنوده ...

واشتد العطش بالجنود ... واشتدت الرغبة في الماء ... ووقف الجيش
كله ... أمام النهر ...

ها هو الماء ... وهام اولاء عطشى ... يكاد الظمأ يقتلهم ...
فماذا كان من الجنود؟ !

« فشربوا » جميعاً ... بلا استثناء ... شربوا حتى امتلأت بطونهم ...
« منه » من ماء النهر ...

« إلا قليلاً منهم » إلا عدداً قليلاً ... خافوا الله ... وصبروا على العطش ...
ابتغاء مرضات الله ...

وكانت تصفية للجيش ...

أما الذين شربوا ... وهم الأكثرية ... فقد ارتدوا على أديبارهم ... ولم يرغبوا
في قتال ... ولا رغب طالوت أن يكونوا معه ...

لأن الذي يعصي الله في شربة ماء ... يعصيه في الثبات للأعداء ... ولا
يلبث أن يفر من الموت ...

فهؤلاء لا خير فيهم ... ومن الخير ... أن يرجعوا من الآن ... حتى لا يتسببوا
في الهزيمة للجميع ...

« فلما جاوزه » فلما عبر طالوت ذلك النهر ...

« هو » على رأس الذين لم يشربوا من النهر ...
« والذين آمنوا معه » على رأس الذين آمنوا بالله ... وثبتوا معه
على أمر الله ...

وصبروا على العطش امتثالاً لأمر ربهم ...

فماذا حدث ؟ !

حدثت تصفية ثانية لهؤلاء المؤمنين ...

« قالوا » رعبوا رعباً عظيماً ... حين رأوا كثرة عدد أعدائهم ... وعلى
رأس الأعداء ... البطل الرهيب جالوت ... يتحدى أن يجرؤ أحد
على نزاله ...

« لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » لا قوة لنا الآن بهذا القائد الجبار ...
ولا بهذا الجيش الضخم ...

ونكص الذين آمنوا عن اللقاء ...

انهم صبروا من قبل عن الماء ...

ولكنهم الآن يباشرون مواجهة الموت ...

وهذا اختبار أصعب بكثير من اختبار الصبر عن الماء ...

لأن من الناس من يصبر عن شواته ... ولكنه لا يصبر على الموت ...

فماذا كان ؟ !!

« قال الذين يظنون انهم ملأوا الله » وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً !!!

عدد أهل غزوة بدر الكبرى ...

وهذه هي التصفية الثالثة !!!

فتأمل ... شعب بأكمله ... يُصنفى الى ٣١٢ رجلاً !!!

فما معنى هذا ؟!

معناه أن نبيهم حين قال لهم « هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا »؟! . كان يصدقهم ... ويكشفهم الى أنف-هم ...

وها هي الحقيقة تظهر ... بعد سنين من قول نبيهم !!!

« عن البراء قال :

« كنا نتحدث ان أصحاب بدر ، يوم بدر ...

« كعدة أصحاب طالوت ...

« ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً » .

[أخرجه الترمذي]

ثم ماذا ؟!

هل انتهت التصفيات عند هذا ؟!

كلا ... بل هناك تصفية رابعة !!

ان هؤلاء الذين هم ذروة المؤمنين ...

لا يوجد منهم ... وعلى رأسهم طالوت ...

من يجرؤ على الخروج الى مبارزة جالوت ...

فمن لهذا الطاغية الجبار ... لا أحد هناك !!!

واصطفت صفوة أبطال طالوت ... اصطف الثلثمائة والثلاثة عشر رجلاً ...

وتوجهوا إلى ربهم ...

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » لأن النصر من عند الله ...

ولا يرتبط بقلة أو بكثرة ...

« والله مع الصابرين » يؤيدهم وينصرهم ...

« ولما برزوا » ولما اصطف الثلثمائة والثلاثة عشر رجلاً للقتال ...

« لجالوت وجنوده » وجالوت يختال يمنة ويسرة ... وينادي على الملأ :
هل من مبارز... ومن ورائه جيش كبير ... مجهز بأسلحة الفتك والبطش ...

« قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً » أصعب في قلوبنا أمواجاً من الصبر ...

« وثبت أقدامنا » فلا نفر أمام أعداءنا ...

« وانصرنا على القوم الكافرين » الذين لا يؤمنون بك ... ولا برسلك ...

في تلك اللحظة الحاسمة ... في التاريخ ...

جعل جالوت يكرر صيحته : هل من مبارز ... هل من أحد يريد أن
يحرب الموت ؟!

ولا أحد يجرؤ على الخروج إليه ... لا طالوت ... ولا أحد ممن مع
طالوت !..

وكان هناك غلام ... ليس من جنود طالوت ...

وإنما بعثه أبوه ... يسأل عن أخبار اخوته الثلاثة الذين خرجوا في
جيش طالوت ...

جاء هذا الغلام ... ورأى ما رأى ... من جبروت جالوت ... وزهوه
وفخاره ... واحتقاره لطلوت وجنوده ...

ورأى خوف الجميع ... ان يخرج أحدهم لمبارزته ...

فتسلل الغلام حتى وصل إلى حيث يقف طالوت ... وسأله أن يسمح له
بمبارزة جالوت ...

وكان شيئاً يثير الضحك !..
وحاول طالوت أن يصرفه عن رغبته فأبى ...
وأخيراً اضطر طالوت ان يستجيب للغلام ...
فألبسه ثياب الحرب التي كانت عليه ...
إلا ان الغلام لم يكن له خبرة سابقة ... بمثل هذه الثياب المعقدة ...
فخلعها عنه وألقاها بعيداً ...
وتوجه الغلام ... في ثيابه البسيطة ... ثياب غلام يرعى الغنم لأبيه ...
وأخذ معه مقلاعاً ... وأحجاراً ملساء في كيس علقه في عنقه ...
وشق الغلام طريقه إلى جالوت ... جبار الحرب ...
كان جالوت على صهوة جواده ... في ملابس حربه ... وقد أثار إعجاب
جنوده ... والرعب في قلوب جنود طالوت ...
وتطلع الجميع ... الى تلك المهزلة ... غلام يخرج لمبارزة جالوت ...
أما ان هذا الغلام قد أصابه الجنون ...
وإما انها حركة يأس من طالوت وأصحابه ...
ثم ماذا ؟!
ثم وقعت المعجزة ...
قتل الغلام ... حجراً ... ووضعه في المقلاع ... ثم رمى ...
« وما رميت إذ رميت »
« ولكن الله رمى » !..
فاستقر الحجر ... في أوسط جبين جالوت ... فشق من جبينه ...

ثم أتبعه بججر آخر ... فأصاب رأس الطاغية ... ثم الثالث ... فاهتز
الطاغية اهتزازاً ... وهوى ...

وسقط جالوت عن فرسه صريعاً ... يشخب دماً !..
وما أن رأى جيشه طاغيته يسقط صريعاً... حتى دب الرعب في قلوبهم...
هنالك شد طالوت والذين معه عليهم شدة واحدة ...
فتبددوا ... وهزموم بإذن الله !..
فمن هو هذا الغلام ؟!
إنه داوود !..

« فهزمومهم بإذن الله » فغلبهم أجمعين ... وبددومهم ... بإذن الله ...
« وقتل داوود جالوت » ... وكانت آية منا ...
ونزل النصر ... على قلب داوود ...
على الفرد المستصفي ... من شعب بأكملها ...
كانت هذه اللحظة ...

لحظة « قتل داوود جالوت » ...
هي بداية ظهور المكنون ... من ذلك الغلام المجهول !..
إنه الفرد المصطفى من أمة بأكملها ...
إنه أشجع الأمة بأكملها ...
إنه تصدى لمن تراجع الجميع عن لقائه ...
إنه « عبدنا داوود ذا الأيدي » ذا القموى ...
أقوى فرد في الأمة ...
أقوى فرد إيماناً ...

أقوى فرد شجاعة ...
أقوى فرد علماً بنا ...
نحن نعلمه ... وأنتم لا تعلمون ...
من أجل ذلك ... بعثناه إلى جالوت ...
وقتلنا بيده جالوت ...
وأنزلنا على قلبه النصر ...
ذالكم ... هو الغلام الجميل ... الجليل ...
ذالكم ... هو داوود !..

طالوت ... يكيد ...

لداوود ...

الامتياز ...

نعمة جليلة ... ولكنه في نفس الوقت ... مصيبة جسيمة! ..
كيف يكون الشيء الواحد نعمة ونقمة في آن واحد؟!
هذا ناموس ... يسري ويجري ... في الناس ... ولا تبديل له
ولا تحويل ...

وإنما يتفجر ذلك الناموس ... من حديث «كل ذي نعمة محسود»! ..
أي محقود عليه ... من غيره! ..
وأعظم النعم نعمة الامتياز ... ومن هنا كانت ماثراً لحقد الحاقدين
على الممتاز ...

سواء كان الامتياز موهوباً ... أو مكتسباً ...
انه في أعين الحاسدين ... امتياز وكفى بذلك جريمة في تقديرهم؟
فأبداً عيب بمتاز ... فعملية أن يستعد لرشق سهام الحاسدين ...
وتاريخ الآدميين مشحون بأمثلة تؤكد هذا الناموس ...
يوسف ... الطفل الذي لا حول له ولا قوة ...
كانت جريمته ... عند اخوته هي امتيازه ...
ليوسف واخوه أحب إلى آيينا مِنَّا ... «!؟

تأمل ... هذه هي الجريمة ...
واندفعوا يأترون ... بطفل !..
« اقتلوا يوسف » !..
هذا هو الناموس ... هذا مثال ...
يوسف يُقتل ... لماذا؟! لأنه ممتاز ...
وما ذنبه ... وقد خلقه الله ممتازاً على اخوته؟! ..
وأدركوها أخيراً ... « تالله لقد آثرك الله علينا » !..
والانبياء أعظم الناس بلاء ... من هذا السبيل ... سبيل الامتياز ..
فمعلوم انهم أعظم الناس امتيازاً ... ظاهراً وباطناً ...
ومن هنا ... يشغب عليهم الجاهلون ... بكل ما يخطر على البال من
الشغب والاجرام والصد والمضادة والمحاربة ...
فإذا لم تسعفهم هذه المحاولات كلها ... دبروا لقتلهم للخلاص منهم !..
« وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً ، شياطين الانس والجن ... » !..
ومن الأنبياء ... ذلك النبي ... الملك ... داوود ...
اندفع بحسب امتيازه ... الموهوب ... وهو غلام ... لا يخطر بباله ...
ان يكون شيئاً ...
اندفع الى جالوت ... ورماه بأحجار استقرت في جبهته ... فترنح وسقط
يشخب دمماً ...
فتقدم داوود ... الغلام ... البريء ... ولم يكن معه سيف يقاتل
به عدوه ...

فنزح سيف جالوت منه ... وجالوت مجندل في دماائه ...
ثم قطع رقبته ...
فارتج المعسكران ...
ممسكراً طالوت ... تمجيداً لله ...
وممسكراً جالوت ... رعباً وفزعاً وفراراً ...
فدوى اسم ... داوود ... دويماً شديداً ...
الجميع يتحدثون ... ويقصون تفاصيل القصة ...
كيف جندل هذا الغلام ... أعظم جبابرة الحرب جالوت ... واحتز
رقبة جالوت ... بسيف جالوت !..
ودخل داوود ... من هذه اللحظة ... بحر الشهرة ... التي لم يفكر
فيها ... ولم يسع اليها ...
الكل يتحدث ... داوود ... داوود ... داوود !..
وأظهر الله للعيان ... الامتياز ... الذي كان مكنوناً ... في ذلك الغلام
الراعي غنمات أبيه ...
وأى امتياز ؟!
انه القدرة الخارقة ... والآية الباهرة ... والمعجزة القاهرة ...
طفل ... يبارز جباراً ... فر الصناديد من مبارزته ...
طفل ... يجندل- جباراً ... ويحتز عنقه بسيفه ...
غلام ... ينتزع النصر لشعبه بأكمله ...
ويلحق عار الهزيمة بشعبه بأكمله ...

امتياز ليس كمثلته امتياز ...
فليكن بلاؤه ... ليس كمثلته بلاء ...
« أشدكم بلاء الأنبياء » !!
لماذا؟! .. لأنهم أشد الناس امتيازاً !!
فلنفهم القضية ... قضية الأنبياء ...
ان أمورهم أعجب الأمور ...
وأحوالهم أعجب الأحوال ...
وأقوالهم أصدق الأقوال ...
وأفعالهم أحكم الأفعال ...
هذا صاحبنا ... طالوت ... قائد ثورة التحرير ...
كان ملء الأسماع في شعبه ... باعتباره منقذ الشعب ومحرره من أعدائه ...
فلما فعل داوود فعلته ... التي فعل ...
انتزع داوود الإعجاب من طالوت ...
واستوى داوود ... على عروش قلوب الشعب من أوله إلى آخره ...
والبطل يظل بطلاً ... في أعين الناس ... ما لم يبرز له منافس ... فينتزع
منه البطولة ...

وقد كان طالوت ... أغنية الشعب ... رجالاً ونساءً ...
يتحدثون عن أجداده ... وانتصاراته ... ويعظمونه ...
فلما قتل داوود جالوت ... انتقلت الزعامة والبطولة إلى داوود تلقائياً ...
وإن كان طالوت ... ما زال رسمياً ... هو الملك ...

وداوود ما زال عملياً هو الغلام البسيط ... أحد رعاة الغنم ...
ولكن اسمه يرتفع في الشعب ...
فامتأ قلب طالوت عليه غيرة وحسداً وحقدأ ...
وبدأت القصة ... أو بدأ الناموس ...
وحقد الملوك هو أشد حقد على الإطلاق ...
وطالوت ملك يريد أن يحافظ على عرشه ...
وعرش الملوك ... قوائمه حب الشعوب ...
وها هو حب الشعب ... يتحول إلى داوود ...
فعرش طالوت إذأ يهتز ويميد ويضطرب ...
فليقتل داوود قتلاً! ..
كان هذا هو لسان حال طالوت! ..

صهر الملك ... وقائد عام ...
القوات المسلحة ... ١٤

ولجأ ...

المسمى طالوت ... إلى كل حيلة ... يلجأ اليها الملوك ... للتضاء على
غريبيهم ...

زوجه ابنته ... فصار داوود بذلك صهرا للملك !..
وعبّته قائداً عاماً للقوات المسلحة ... ليستميله إلى صفه ... فإن المناصب
تأثيراً على أصحابها ...

ولكن داوود سجل انتصارات جديدة ... فازداد تعلق الشعب به ...
كما أن ابنة الملك أحبت داوود حباً شديداً ...
والعذارى قلوبهن مركزة على الأبطال ...
وأي بطل هو أعظم من البطل داوود؟ !.
قاهر جالوت ...

وقاهر أعداء الشعب ...
وقاهر طالوت ... رغم أنف طالوت ...

إلى آخر هذه السيمفونية الرائعة ... التي يعزفها الشعب كله !..
وتسمعا ابنة الملك ... فتزداد التصاقاً ببطلها وزوجها ... وتزداد ابتعاداً
عن أبيها والأعيب ملكه !..

وإن أسعد لحظة عند الفتاة ... أن يشار إلى رجلها بالبنتان ...
وكان داوود يزداد... يوماً بعد يوم ... شهرة ... وعظمة ... وبطولة!..
لم يبق أمام طالوت ... وقد فشلت أساليب الإغراء ... في القضاء
على داوود ...

الا ... قتل داوود!..

والمُلك قد يميز الملوك أن يفعلوا ما يشاؤون ... للحفاظ على عرشهم!..
ولا يوجد في أحوال البشر تجربة أصعب من تجربة أن يكون
الإنسان ملكاً!..

إنها تجربة على الغاية من الصعوبة ... وعلى الغاية من الخطورة ... وعلى
الغاية من التعقيد ...

ولا يفهم صعوبة تلك التجربة إلا الملوك أنفسهم!..

هم أصحاب التجربة ... وهم الذين يصطلون بناها وحرها ولهبها!..
ولنما تتأتى صعوبة تجربة المُلك ...

من أوحدية العرش ... فالعرش كرسي واحد ... لا يحتمل أن يكون عليه
اثنان ... وأمواج الأعداء في الداخل والخارج توج في اتجاه ذلك الكرسي
الواحد ...

فيجد الملك نفسه مضطراً لكي يحفظ على الكرسي استقراره وسط تلاطم
هذه الأمواج عليه ... أن يفعل ما يستطيع فعله لتثبيت كرسيه!..

وهذا ما وجد الملك طالوت نفسه في داخله ... من حيث لا يريد ...
ولا يحتسب ...

كان ملكاً عظيماً ... وقائد ثورة شعب ...
وفجأة هبت الأعاصير ... وتلاطمت الأمواج ... واهتز الكرسي ...
وحاول بالإغراء تارة ... وبالإرهاب تارة ... فازدادت خطورة
داوود ...

فتحتم في منطلق طالوت الملك ... أن يُقتل داوود ! ..
وإليك طرفاً ... من تلك المحاولات ... كما هي مسجلة عند أهل الكتاب ...
وفي أسفارهم ... مختصراً :

« وميكال ابنة شاول أحببت داوود
« فأخبروا شاول فحسن الأمر في عينه
« وقال شاول : أعطيه اياها فتكون له شركاً » ...

إنه يريد أن يزوجه ابنته ميكال ... ليسيطر عليه بهذه المصاهرة ...
عسى ان يشعر داوود بالمنة :.. وهو الرجل البسيط ... يتزوج
ابنة الملك !

وقالوا : « فأعطاه شاول ميكال ابنته امرأة ...
« وميكال ابنة شاول كانت تحبه .

« وعاد شاول يخاف داود بعد وصار شاول عدواً لداود كل
الايام » ...

هكذا ... ميكال قد شففتها داوود حباً ... بينما كان أبوها يريد أن تكون
عوناً له على زوجها ! ..

وقالوا : « وكان داود يخرج إلى حيث أرسله شاول كان يُفلح .

« فجعله شاول على رجال الحرب ، وحسن في أعين جميع الشعب » ...
أي جملة قائداً عاماً للقوات المسلحة ...
ولكن نجاح داوود في كل معركة يخوضها ضد الأعداء ... جملة يشتهر
أكثر فأكثر !..
فلا تزويجه ابنة الملك أضعفت من موقفه ...
ولا دفعه إلى المارك أدى إلى قتله فيستريح طالوت !..

مھا ولات ... لا ختیاں ...
دا وود ...

أكثر من مرة ...

والمسمى طالوت ... أو شاول ... بلغة أهل الكتاب ... يحاول اغتيال داوود !..

وكما قلنا من قبل ... كانت جريمة داوود الكبرى ... في منطق طالوت ...

لماذا يتحول حب الشعب من طالوت ... إلى داوود ؟!

لماذا تحبه ميكال ... ابنة طالوت ... هذا الحب الشديد ؟!

لماذا حتى ... يُوناثان ... ابن طالوت ... يحبه هو الآخر هذا الحب

الشديد ؟ !

« وكان لما فرغ من الكلام مع شاول أن نفس يُوناثان تعلقت بنفس داود ،

وأحبه يُوناثان كنفسه » ؟!

كيف هذا ... ابنتي ... ابني ... كل الشعب ... يحبون داوود ؟!

هذا خطر على مُلكي ... هذا لا بد أن يُقتل !..

هكذا وسوست إلى طالوت نفسه !..

قالوا : « وكلم شاول يُوناثان ابنه ، وجميع عبيده أن يقتلوا داود » !..

هذا يُعتبر في عُرف الملوك أمراً واجب التنفيذ ...

ان الملك يأمر ابنه ... ويأمر عبيده ... اقتلوا داوود ...

فهل أطاع الابن أباه ؟ !

قالوا : « فأخبر يونانان داود قائلاً : شاول أبي ملتمس قتلك ، والان فاحتفظ على نفسك إلى الصباح ، وأقم في خفية واختبئ . »

« وأنا أخرج وأنف بجانب أبي في الحقل الذي أنت فيه ، وأكلم أبي عنك ، وأرى ماذا يصير وأخبرك . »

« وتكلم يونانان عن داود حسناً مع شاول أبيه . »

« وقال له : لا يخطئ الملك إلى عبده داود ، لأنه لم يخطئ إليك ، ولأن أعماله حسنة لك جداً ... »

« فلماذا تخطئ إلى دم بريء بقتل داود بلا سبب ؟ ! »

هذا دفاع يونانان عن داود وإنه لدفاع حقيق وجريء ... ان داود بريء ... لا ذنب له إلا أن قتل جالوت ... وانتزع النصر للشعب ...

فماذا كان جواب طالوت ؟ !

قالوا : « فسمع شاول لصوت يونانان . »

« وحاف شاول : حي هو الرب ، لا يقتل ... »

لحظة استيقظ فيها ضمير طالوت ...

فأصدر أمراً ملكياً ... أصدر عفواً ملكياً ... لا يقتل ! ..

فهل صحيح ان الملك طالوت ... تنازل عن أفسكاره السوداء ... وعفا حقيقة عن داود ؟ .

كلا ... وإنما ينتهز الفرصة المناسبة ...

ألم أقل لك ... ان حقد الملوك ... هو أشد الأحقاد ...

﴿ مؤامرة لاغتيال داود ﴾

عادت الحرب ... وخرج داود على رأس الجيش وضرب الأعداء ضربة عظيمة ... وانتصر نصراً عظيماً ...

فازداد اسمه دويماً ... وتناقلت الألسن براعته الحربية ...
فازداد طالوت عليه حقداً ... ودبر هذه المرة تدبيراً محكماً يُفضي حتماً إلى قتله !..

قالوا : « فأرسل شاول رسالاً إلى بيت داود ليراقبوه ويقتلوه في الصباح .

« فأخبرت داود ميكال امرأته ، قائلة : ان كنت لا تنجو بنفسك هذه الليلة فانك تقتل غداً » .

ان ميكال تحب داود زوجها حباً شديداً ...
وها هي تكشف له خطة أبيها التي وضعها لقتل داود ...
وها هي تقف إلى جانب زوجها في تلك اللحظة الحرجة من حياته ...
وتدبر له كيفية الإفلات من قبضة أبيها وزبانيته !..

قالوا : « فأنزلت ميكال داود من الكوة ، فذهب هارباً ونجوا .
« فأخذت ميكال الترابيم ووضعتهم في الفراش ، ووضعت لثبدة المعزى

تحت رأسه وغطته بشوب .

« وأرسل شاول رسالاً لأخذ داود فقالت : هو مريض » ..!

ها هنا إشارة جميلة ...

يشبه هذا المشهد ... مشهد ليلة الهجرة في حياة رسول الله صلى الله وسلم ...

حين خرج صلى الله عليه وسلم ... ونام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فراشه ... فظنه الذين كفروا محمداً ... في فراشه ...

وهذا التشابه ... الذي يكاد يتطابق ... في موقف من مواقف حياة رسول الله ... وحياة نبي الله داود ... ليس عفواً ولا صدفة ... وإنما هو سنن إلهية لا تتبدل ... ان ير الأنبياء على نفس التجارب ... ونفس الاختبارات ... التي تتلأأ فيها أنوارهم للخلق أجمعين !..

وتجربة القتل ... أو التعرض للقتل ... تسكاد تكون تجربة متكررة ... في حياة كل نبي رسول ...

يتحتم أن ير كل رسول ... على هذا المقام ...

مقام ان يهدد بالقتل من أعدائه ... ويُدبر لاغتياله !

انظر ... في يوسف ... « اقتلوا يوسف » ...

في موسى ... « إن الماذا يأترون بك ليقتلوك » ...

وها هنا ... في داود ... كاترى ... طالوت مُصر إصراراً على قتل داود ...

وهكذا ... مقام ... لا بُد لهم أن يروا عليه ... صلى الله عليهم ...

ثم ماذا ؟ ..

ثم قالوا : « ثم أرسل شاول الرسل ليروا داود قائلاً : اصعدوا به إليّ على
الفراش لكي أقتله » ..

حقد أسود ... انه يريدُه أمامه فوراً ... ليقتله فوراً ! ..

« فجاء الرسل ، وإذا في الفراش الترافيم ولبدة المعزى تحت رأسه .

« فقال شاول لميكال : لماذا خدعتني ، فأطلقت عدوي حتى نجا ??

« فتالت ميكال لشاول : هو قال لي أطلقيني ، لماذا أقتلك » ??

« فهرب داود ونجا » ...

هذه محاولة ... وتدبير من طالوت ...

يريد أن يقتل داود ... مهما كانت الظروف ...

أما كون داود بريئاً أو غير بريء فهذا شيء لا يعنيه ... ولا يفكر فيه ...

المهم أن يُقتل داود ! ..

ثم ماذا ؟!

ثم لجأ داود إلى الجبال ... واعتصم بها ...

واجتمع اليه نفر من الناقمين على حكم طالوت ...

فخشي طالوت أن يستفحل أمره ... وظن أنه يدبر للثورة عليه ...

فخرج يطارده ... ليظفر به ويقتله ومن معه ...

قالوا : « وذهب شاول ورجاله للتفتيش .

« فأخبروا داود ، فنزل إلى الصخر ، وأقام في برية معون .

« فلما سمع شاول تبع داود إلى برية معون .

« فذهب شاول عن جانب الجبل من هنا .

« وداود ورجاله عن جانب الجبل من هناك .

« وكان داود يفر في الذهاب من أمام شاول .

« وكان شاول ورجاله يحاوطون داود ورجاله لكي يأخذوهم » .

إصرار على مطاردة داوود ... ومحاولة من الملك ... لقتله ومن
التف حوله !

ثم حدث بعد ذلك ... ان ظفر داوود بطالوت ... واستمكن منه ...
إلا أن أخلاق الأنبياء تلالآت منه ... فعفا عن طالوت ولم يمسسه بسوء ! ..
واعترف شاوُل بفضل داوود عليه وقال :

« أنت أبرُّ مني ، لأنك جازيتني خيراً ، وأنا جازيتك شراً » ! ..

ثم أعلنها طالوت رغم أنفه : « والآن فاني علمت انك تكون ملكاً ... » ! ..
هذه هي عقدة طالوت ...

ان داوود سينزع منه حتماً الملك نزاعاً ! ..

ثم ماذا ؟ !

ثم تتابعتم الأحداث ... وأتت المقادير بالخروج لداوود ...

ذلك أن طالوت خرج على رأس جيشه لمحاربة الأعداء ...

ولم يكن معه هذه المرة داوود ...

لأنه كان قد أصبح لاجئاً سياسياً ... خارج مملكة طالوت وسلطانة ...
فشدّ الأعداء وراء طالوت ...

واشتدت الحرب على طالوت فأصابه الرماة ... وجرح جراحاً بليغة ...

ومات طالوت ... في المعركة هو وبنوه ... وجميع القادة من حوله ...

ثم قطع الأعداء المنتصرون رأسه ... ونزعوا سلاحه ... وعلقوا جثته ...
لتكون عنواناً ... على هزيمته وهزيمة جيشه ...

وهكذا حكم الله في القضية ... وانتهى طالوت ... وبقي داوود ...

لأن هناك دوراً تاريخياً عظيماً في انتظاره ! ..

وَأَنَّهُ ... اللَّهُ ...
الْمَلِك ...

قال تعالى :

« وقتل داوود جالوت »

« وآتاه الله الملك » ..

الإشارة منها ... ان قتل داوود لجالوت ... كان نقطة البدء ... في انتقال الملك الى داوود ...

وهذا ما كان يدركه الملك طالوت ... ويعمل على ايقافه ما استطاع ...

وما هذه الأحداث والصراعات بينه وبين داوود ... إلا محاولات من طالوت لمنع صعود داوود إلى الملك ...

ولكن هيهات هيهات ...

فقد أراد الله ان يكون داوود ملكاً ... وأن يُنزع الملك من طالوت نزعاً ...

« قل اللهم مالك الملك »

« تؤتي الملك من تشاء »

« وتنزع الملك ممن تشاء ... »

فذهب طالوت كما رأينا ...

وقتابعت الأحداث ... ليرتفع داوود ملكاً! ..
 وجاء جميع شيوخ الشعب إلى داوود ...
 فقطع الملك داوود معهم عهداً أمام الله ...
 وبايعوا جميعاً داوود ملكاً على جميع الشعب ...
 كان داوود آنذاك ابن ثلاثين سنة حين ملك ...
 وملك أربعين سنة ...
 قالوا : « وكان داود يتزايد متعظماً ، والرب وإله الجنود معه » ! ..
 أي انه كان يزداد عظمة ، يزداد ملكه قوة ...
 وخاض داوود معارك كثيرة ... ضد أعداء الشعب ... من حوله ...
 وكان كل مرة ينتصر عليهم انتصاراً ساحقاً ...
 حتى استسلم له أعداؤه ... اما عن هزيمة أمامه ... وإما خوفاً من قوته ...
 حيث أصبح القوة الأعظم ...
 قالوا :
 « والآن فهكذا نقول لعبيدي داود .
 » هكذا قال رب الجنود :
 « أنا اخذتك من المربض من وراء الغم ، لتكون رئيساً على شعبي ...
 » وكننتُ معك حيثما توجهت ...
 » وقرضت جميع أعدائك من أمامك ...
 » وعملت لك اسماً عظيماً كاسم العظماء الذين في الأرض » ! ..

ان الله يذكره نعمته عليه ... وأنه كان يرعى الغنم لأبيه ... فاستمخرجه
ليكون ملكاً عظيماً على الشعب كله ...

ويجعله عظيماً من عظماء الكرة الأرضية آنذاك ...
فماذا كان من داوود؟!!

جمل يثني على ربه ... ويشكره ... ويمدد آلاءه عليه ...
قالوا :

« فدخل الملك داود ، وجلس أمام الرب وقال :

« من أنا يا سيدي الرب ، وما هو بيتي ، حتى أوصلتني إلى ههنا؟! .

التذلل لله ... والتواضع ... بل الفناء التام ...

انه يشغز أمام الله ... انه لا شيء ...

وأنه لا يستحق أن يجعله الله ملكاً عظيماً ... ذا سلطات عظيمة ...
ومهابة شاملة! ..

ثم يقول داوود ... في مناجاته لربه :

« والآن يا سيدي الرب :

« أنت هو الله

« وكلامك هو حق

« وقد كلمت عبدك بهذا الخبر

« فالآن ارتض وبارك بيت عبدك ... » ..

هكذا الأنبياء ... لا يرون أنهم ملوكاً ...

وإنما الله هو الذي آتاهم الملك ...

وأن مُلكهم لا ثبات له إلا اذا ثبتته الله لهم ...

وهكذا استوى داود بإذن ربه ... على العرش ...
وبارك الله له وعليه ...

قالوا :

« وكان داود يُجري قضاءً وعدلاً لكل شعبه » ..!
ما أعظم هذا !..
مُملك ... وعدل !..

اذ دخلوا ... على داوود ...

ففرع منهم ...

في اللحظة ...

التي بلغ فيها داوود ... ذروة النصر العسكري ... والعزة الدولية ...
وامتد فيها ملكه يميناً وشمالاً ... وشرقاً وغرباً ...
في هذه اللحظة ... حيث يبلغ الإنسان تمام النعمة ...
ينزل البلاء ... ليضرب داوود ... في أعماقه ضرباً شديداً ...
وإلى هذا المعنى يشير القرآن العظيم :
« وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » ...
أي حين بلغ ملك داوود أشده ... ورفعناه إلى أعلى درجات الملك ...
كان يتحتم ان يُضرب بالبلاء ... لنكسر من صولة الملك فيه ... فيتحقق
منه التوازن المطلوب ... فيكون حكيماً ... أي موزوناً في حكمه
على الأمور ...

« وآتيناه الحكمة » ... فإذا نطقَ نطقَ بالقول الفصل ...

« وفصل الخطاب » !..

انه بجر « أدبني ربي فأحسن تأديبي » !..

كيف كان هذا البلاء ... وما قصته ... وكيف وقع ؟!

« وهل أتاك نياً الخضم إذ تسوروا المحراب » ؟!

وهل وصل الى علمك خبر أولئك الخصوم ... إذ تسلقوا السور ... ودخلوا على داوود ... وهو في خلوته يتعمد في معبده ... لا يراه أحد إلا الله؟! نحن نقص عليك هذا النبأ ... كما كان وكما وقع ... لا كما قصه القصاص ... وجاءوا فيه بالأباطيل ... ونسبوا إلى عبدنا داوود ... ما لا ينبغي أن ينسب إلى أنبيائنا ...

« إذ دخلوا على داود » وكان الوقت ليلاً ... في السحر ... والحراس على بيت الملك داوود ... ينعون أحداً أن يدخل عليه ... فاقتموا عليه ... « ففزع منهم » فزعاً شديداً ... وظن أنها مؤامرة لقلب نظام الحكم ... فكيف دخل هؤلاء ... وأوامر صريحة مشددة ... ألا يدخل عليه أحد في هذا الوقت ... حيث يناجي ربه! ..

« قالوا لا تخف » بادروا إلى ادخال السكينة عليه ... ليذهبوا عنه الروع ... قال داوود : ما خطبكم؟! ..

قالوا : « خصمان » نحن خصمان ... اختصمنا في أمر ... رأينا أن نختكم اليك فيه ...

« بغى بعضنا على بعض » ظلم أحداً الآخر ... وأصر الظالم على ظلمه ... « فاحكم بيننا بالحق » بالعدل ... الذي يرد الحق الى صاحبه ... « ولا تشطط » ولا تسرف ... ولا تبتعد عن الصواب ... « واهدنا » ووجهنا ...

« إلى سواء الصراط » الى الطريق الصحيح ... السويّ المستقيم ... لغة عجيبة ... ليس مألوفاً أن تصدر عن المتخاصمين ... وهم في مواجهة القاضي ...

فكيف والقاضي هنا ... هو داوود ... الملك ... النبي؟! ..

انهم يوجهون الملك ... النبي ... بدلاً من التسليم له ... والخضوع لأمره !..
ان داوود بدأ يتوجس منهم . . . متى كانت هذه هي لغة الجماهير ... حين
يخاطبون ملكهم ونبيهم !؟

يبدو أن أمر هؤلاء ... مؤامرة دُبرت بليل !..

قال داوود ... فيم تختصمون !؟

قال أحدهم : « ان هذا أخي » والأخوة تقتضي أن يجب لأخيه ما يجب
لنفسه ...

« له تسع وتسعون نعجة » يملك تسعاً وتسعين نعجة ...

« ولي نعجة واحدة » لا أملك سواها ...

« فقال اكفنيها » اعطنيها ... أضفها الى نعاجي ... ليكملوا مائة !..

« وعزّني في الخطاب » وغلّبي في الحوار ... لأنه منطيق ... وأنا

لا أحسن الدفاع عن نفسي ...

ولم يتكلم الخصم الآخر ... ولم يبطل كلام صاحبه ... وإنما أقره !..

فغضب الملك النبي ... وحكم في القضية ...

« قال » داوود ...

« لقد ظلمك » ظلاماً شديداً ... وبغبي عليك بغياً عظيماً ...

« بسؤال نعجتك » بطلب ضم نعجتك الواحدة ...

« إلى نعاجه » الكثيرة ...

ثم كانت حيثيات ذلك الحكم النبوي ...

« وإن كثيراً » ودائماً الأكثرية الساحقة ...

« من الخلفاء » الذين يختلط بعضهم ببعض في المجتمع ... كثيراً من

المتعاملين ...

« ليبيغي بعضهم على بعض » ليظلم بعضهم بعضاً بغير حق ...
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » فهؤلاء لا يقع منهم بغي ... وإنما
يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ...

« وقليل ما هم » هؤلاء دائماً قليل ... في كل مجتمع ... أما الأكثرية ...
فطبيعتهم أن يبغي بعضهم على بعض ...
وهذا النطق ... نموذج فريد ... لفصل الخطاب ... الذي آتاه الله عبده
داوود ... ولذلك جاء في أعقاب قوله « وفصل الخطاب » مباشرة ... أي
اليك مثلاً من فصل الخطاب الذي آتيناك عبداً داوود ...

منطوق الحكم :

« لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه » !..

ست كلمات ... معدودات ...

هذا نموذج فذ ... لفصل الخطاب ...

الحيثيات :

« وإن كثيراً من الخلقاء ليبيغي بعضهم على بعض

» إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات

» وقليل ما هم ، !..

روعة ... اعجاز ... إيجاز ... هذا نموذج آخر ... لفصل الخطاب !..
ضع هذه الحيثيات ... وقارنها بالمطولات ... التي تصدر عن المحاكم
والتضاة ... تدرك مدى الفارق البعيد ... بين منطقي الأنبياء ... ولغو
الناس !..

ثم تأمل معي ... إلى الأحكام في الكلام ... بحيث يأتي موزوناً بموازن

الذّرّ ... فلا زيادة عن الحقيقة ولا نقص ... ولكن قولاً فصلاً! ...
تأمل هذه وحدها ... « وقليل ما هم » ... ثم طبقها على مستوى كل
زمان ومكان ... تجدها صالحة أبداً ... لكل زمان ومكان وإنسان ...
دائماً ... في كل مجتمع ... أهل الخير قليل ...
دائماً ... انه ناموس أبدي! ...
وهكذا النبوة ... وهذا مستواها ... اذا تكلمت ... وأفقهها إذا تألّأت! ...
وأخيراً ... ماذا حدث؟! ...
حدث أمر عظيم ...
اختفى الرجلان ... ونظر داوود من حوله ... فلم يجد لهما أثراً! ...
ما هذا ... ما الخبر؟! ...
فأدرك داوود على الفور ... ان هؤلاء ليسوا من البشر ...
انها مَلَائِكَة ... جاءوه في هيئة بشرية ...
وفاجأوه في خلوته ...
وأدرك على الفور أنه هو ذلك الرجل الذي له تسع وتسعين نجمة ...
لأن الله تعالى تجلّى عليه بأسمائه الحسنى ... التسع والتسعين ...
فأعطاه بذلك ما لم يعط أحداً من العالمين ...
وأن الرجل الذي له نجمة واحدة ...
هو المسكين حقاً ... هو الذي يريد الدنيا ... ولا يتوجه الى الله ...
وأن اللائق به ... وهو النبي ... ألا يقع منه قط ... التفات إلى الدنيا ...
انه بحر « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة
الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى »! ...

فهم داوود على الفور! ...
 كأن الله يريد أن ينهبه الى انه أعطاه من كل شيء ... حين تجلى عليه بكل
 أسمائه ... فضله على العالمين ...
 ومن كان هذا شأنه ... لا ينبغي أن يلتفت أدنى التفاتة الى زينة الدنيا...
 وما التفت داوود ...
 وإنما هو أسلوب تربية ... وترقية ...
 إلى درجات أعلى ...
 وهؤلاء الأنبياء ... يرقمهم ربهم دائماً وأبداً ...
 فما التفت صلى الله عليه وسلم إلى الدنيا حين قال له « ولا تمدن عينيك »
 وإنما هي ترقية إلى أعلى ...
 لتعلم من ورائه ... صلى الله عليه وسلم ... ان التطلع الى الدنيا ...
 والاعراض عن الله ... لا ينبغي أن يكون من عاقل! ..
 « وطن داوود » وأيقن عبدنا داوود ... على الفور ... حين اختفى
 الحصان من أمامه فجأة ...
 « انما فتناه » اختبرناه ... هل يليق بن آتيناها من كل شيء ... وفضلناها
 على العالمين ... أن يلتفت قلبه عنا؟!
 فأيقن داوود ... أنه حكم على نفسه بنفسه ...
 وان فضل الله عليه ... لا نهاية له ...
 فترقى داوود ... ثم ترقى ...
 وجعل قلبه يوج بحب الله موجاً ...
 « فاستغفر ربه » فبادر الى طلب المغفرة ...

« وخرّ » فوراً ... خر قلبه لنا ... فخرّ بدنه تبعاً لقلبه ...
« راكمها » معظماً لله ... لعظيم انعامه عليه ...
وخر ساجداً ... باكياً ... شاكراً لأنعامه ...
« وأنا ب » بكله وجزئه ... وظاهره وباطنه ... وروحه وبدنه ...
وما كان منه ... وما سيكون ... لربه ... عسى أن يؤدي حق ذرّة
واحدة ... مما ينبغي لجلال وجهه وعظم سلطانه ...
وعسى أن يؤدي حق ذرّة واحدة ... مما أنعم عليه ... وينعم ... وما
سوف ينعم عليه ... وعلى كل شيء كان أو يكون !..
ثم ماذا ؟!
ثم هذا ذوق ... نذهب اليه ... في هذا الأمر ... عسى أن يكون مفتاحاً
من المفتاح العليم ... في قضية من أخطر القضايا التي نسبت إلى نبي الله داوود ...
وذهبوا فيها المذاهب ... وتناقلها كثير من المفسرين ... وكثير من
القصاص ...
وزعموا ... ونعوذ بالله مما زعموا ... ان داوود ... خرج يوماً إلى سطح
منزله ... فوقع بصره فجأة على زوجة أوريا ... تستحم عارية ... وكانت
بارعة الجمال ... فوقعت من نفسه ... وضمها الى نساءه !..
وزعموا ان النعاج كناية عن النساء ...
وذهبوا في ذلك المذاهب ... وكان أخفهم اتهاماً ... من قال انها صارت له
زوجة ... بعد أن مات زوجها أوريا في قتال الأعداء ...
ونقول : « ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم » !..
بما أعجبني ... قول من قال في هذه الفتنة ... أنها كانت لتنبئ داوود ...

أن الجلوس للقضاء بين الناس ... أولى من التخلي للعبادة !..
هذا مذهب لا بأس به وجميل !..

فهو تنبيه الى داوود ... أن الله بعثه حاكماً ... ولم يبعثه عابداً ...
أو راهباً ...

يحتجون في ذلك بقوله بعد سياق القصة ... « يا داوود إنا جعلناك خليفة
في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ... » !..

قد يكون هذا حقاً ...

ولكن الذي لا ينبغي ... ولا يحل لأحد ... ان ينسب إلى نبي من عظماء
الأنبياء ... مثل قصة زوجة أوريا !..
والله أعلم !..

وإن له ... عذنا ...
لزلفى ...

هنا ...

هو التاج ... الإلهي ... الذي وضعه الله ... على رأس عبده داوود ...
تبرئة له ... مما قالوا ...
وليعلم الجميع ... ان داوود ... فوق أرواحهم ... وما يفكرون ...
« وإن له » تأكيد من الله ... وإن لداوود ...
« عندنا » تأكيد آخر ...
« لزلّفى لقربة ... لدرجات عالية ...
« وحُسن مآب » وأحسن مآب ... سوف يؤوب اليه ... انه الأواب ...
الذي أمرنا الجبال له « يا جبال أوتّي معه » ...
انكم لا تعلمون : من داوود ؟!
نحن نعلمه ...
انه « عندنا داوود » ...
كفوا ألسنتكم عنه ...
نحن نعلمه ...
ونقول جاء قوله تعالى ... بعد آيات الفتنة مباشرة ... التي تنتهي بقوله
« وخرّ راکعاً وأتاب » ...
قال بعدها مباشرة : « فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلّفى وحُسن مآب » ..

دفاعاً من الله ... عن نبيه وصفيه ... وعبيده داوود ...
كأنه يراد أن يقال للناس ...
كيف تجيز عقولكم ... أن تظنوا بنبينا هذا الظن؟!
كيف والأنبياء ... تحت رقابتنا ... وتحت ولايتنا ... وتحت أعيننا ...
كيف وقد جعلناهم مثلاً علياً ... لكم ... أن تنسبوا اليهم ما لا ينسب إلى
عوام الناس وغوغائهم؟!
فجاء قوله سبحانه دفاعاً مجيداً عن عبده العظيم ...
وإن له عندنا لزُلفى؟!
انه من أقرب المقربين ...
انكم لا تفهمون عن الأنبياء شيئاً ...
ان أعظم البلاء للأنبياء ... انهم يتخالطون مع الناس ... والناس لا يفهمون
من حقائقهم شيئاً ...
الأنبياء غرباء ... أعظم الغرباء ...
حقائقهم ... من الأفق الأعلى ...
والناس ... في الأفق الأدنى ...
ولكن 'فرض عليهم ... أن يتزلوا ... إلى واقع الناس ...
وها هنا الصعوبة ... وها هنا البلاء المبين ...
سلام على داوود ...
سلام على المرسلين ...

يا داوود ... إنا جعلناك ...
خليفة ... ١٤

ابهج ...

ما تكون شخصية داوود ... حين نتأمله ... مَلِكًا ... نبياً ..
ذلك ان فكرة خلق الإنسان أصلاً ... ان يكون خليفة ... « اني جاعل
في الأرض خليفة » ...

هذه هي الفكرة أصلاً ... من خلق آدم ... وخلق ذريته من بعده ...
وداوود... باعتباره أحد الأدميين... المراد من خلقه أن يكون خليفة ...
ومن هنا خاطبه ربه ...

« يا داوود » يا أيها المستغرق في عبادتنا... والثناء علينا... ومناجاتنا...
ما لهذا وحده خلقناك ... ولا بعثناك ...

فالكائنات جميعاً ... تعبدنا ... وتسبح لنا ... « وإن من شيء إلا
يسبح بحمده » ...

وإنما رسالتك الأولى ... ومهمتك العظمى ...
« إنا جعلناك خليفة » نائباً عنا ... تنوب عنا ... في إقامة العدل
بين الناس ...

« في الأرض » في الدنيا ... في الحياة ... في واقع الناس ...
« فاحكم » فبادر الى أداء مهمتك الأولى ... وانزل الى الشعب ... وتفقد
مشاكله بنفسك ...

« بين الناس » في واقعهم ... ولا فتركهم ... من أجل التفرغ لنا ...
فإن إقامة العدل في الناس أحب إلينا ... من قيامك لنا ...
لأن الله غني عن العالمين ...
أما الناس ففي حاجة ... إلى السُّلطة التي ترد عنهم المظالم ... وتحق
فيهم الحق ...
« بالحق » ومن أجل ذلك جعلناك خليفة ...

« ولا تتبع الهوى » وإياك واتباع هوى النفس ... حين تحكم بين
الناس ... لماذا؟

« فيضلك عن سبيل الله »
فببعدك عن الخط المستقيم ...
« ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » .
هذه هي رسالتك الأولى يا داوود ...
وإن عبوديتك لنا ... هذا تمامها وكأها ...
ثم أعلن الله الى الناس جميعاً ... مخاطباً داوود ... لماذا كانت الحياة ...
وما الهدف من خلقها ...

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما » وما أوجدنا هذا التركيب
العجيب ... من سماوات وأرضين ... وما بينهما من أجرام وكائنات ...
ما ركبنا هذا البناء الضخم الفخم المحكم ...

« يا طائر » عيشاً ... أو لعباً ... أو بغير حكمة وهدف ...
« ذلك ظن الذين كفروا » انما يظن ذلك الذين كفروا ربهم ... يتوهمون
ان الحياة لا هدف لها ولا تخطيط ...

« فويل للذين كفروا من النار » حين يُتذفون فيها ... يدركون ويعلمون
لماذا كانت الحياة ... وأنها لم تكن باطلاً ... وإنما كانت لحكمة عظيمة هي ...

« أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض » هذه هي
فكرة الحياة وهدفها ... هو إظهار المؤمن من الكافر ... الصالح من الطالح ...
العابد لله من العابد لهواه ...

الحياة حق ... وتقدير حق ...

الحياة امتحان ... يؤديه الناس ... ولها هدف عظيم هو ...

« أم نجعل المتقين كالفجار » كلا ... لن يكون هذا ... ولن يستوي
الأتقياء والفجار ...

هؤلاء الى الجنة ... وهؤلاء الى النار ...

من أجل ذلك أرسلنا رسلنا ... وأنزلنا كتبنا ...

ومن أجل ذلك يا داوود ... جعلناك خليفة في الأرض ...

جعلناك حاكماً أعلى بين الناس ...

جعلناك في مقام الخلافة الأعظم ...

فأنت رئيس الدولة ...

وأنت نبي الأمة ...

وأنت القاضي بينهم في خصوماتهم ...

وأنت الداعي لهم اليها ...

وأنت المثل القائم أمامهم للاستقامة على أمرنا ...

جميل منك يا داوود ... أن تتوجه اليها ... عابداً ... ومسبحاً ...

وقائماً ... وراكعاً ... وساجداً ...

هذا وجهك الينا ...
ولكن لك وجه إلى العباد ... يتطلعون كلهم اليه ... لتحكم بينهم بالحق ...
فمليك بالتوازن التام ... بين حق الله عليك ... وحق الناس عليك ...
أرأيت ؟! .
انه نفس بحر قوله تعالى « فاستقم كما أمرت » ! ..
ما كان داود إلا قائماً بالحكم بين الناس بالحق ...
ولكن مقام ترقية ...
أي ازدد يا داود رقيماً ...
وازدد عدلاً ... وازدد استقامة ... وازدد توازناً بين التوجه الينا ...
والتوجه إلى العدل في الناس ...
أولئك الأنبياء ... أولئك العظماء ...
دائماً نحو الأعلى ... والأحسن ... والأرقى ...
كما قال للنبي الأعظم :
« يا أيها النبي اتق الله » ؟! .
أي ازدد تقوى ... وازدد رقيماً ... وازدد سمواً وعلواً ..

جاءت خطير ... في عهد ...
الملك داوود ...!

قصة ...

رهيبة ... عجيبة ... وقعت في عهد الملك داوود ...
وما هي تفاصيلها ...

« وسألهم عن القرية » عن المدينة ...

« التي كانت حاضرة البحر » التي كانت ميناء البحر الأحمر ... ميناء
خليج العقبة ... وهي ميناء ايلات ... التي كانت مزدهرة بالحضارة ...
عامرة بالتجارة ... يعيش أهلها ناعمين في أرزاقهم ...

« إذ يعدون في السبت » إذ يقع من بعض أهلها العدوان في يوم السبت ...
المفروض عليهم فيه التفرغ لعبادة ربهم ... ومحرم عليهم فيه العمل الدنيوي ...
« إذ تأتيهم حيتانهم » إذ تقبل عليهم الأسماك المختلفة الأحجام في كثرة ...
وفي أعداد وفيرة ... يسهل عليهم صيدها بكليات تفري النفوس .

« يوم سبتهم » يوم يسبتون لله ... ويسكنون لعبادته ... ويوم السبت
هذا مقدس عندهم ... على مر الأجيال ... ويعملون جميعاً تحريم العمل فيه ...
« شرعاً » ظاهرة فوق الماء ... لا تحتاج إلى جهد في اصطيادها ...

وإنما كان هذا من الأسماك ... لأنها ألفت سكون البحر من حركة
الصيادين ... في يوم السبت ... فتدافعت مطمئنة الى الشاطئ ... آمنة
من مطاردة الصيادين ...

« ويوم لا يسيئون » ويوم لا يتفرغون لعبادتنا ... وفي سائر أيام الأسبوع
غير يوم السبت ...

« لا تأتيهم » تختفي تماماً في البحر في سائر أيام الأسبوع ...

« كذلك نبلوهم » مثل هذا الاختبار العميق نختبرهم ...

« بما كانوا يفسقون » بسبب ما كانوا يستمرون على الخروج عن حدودنا ...
قال الطبري في تفسيره :

« وكانت الحيتان لا تأتيهم في غير السبت تسرعاً ، فإذا أمسى ذهب ، فلا
يرى شيء منها إلى السبت الثاني ، فأخذوا خيوطاً وجعلوا يأخذون الحيتان في
السبت ويربطونها في الخيوط إلى أوتاد في الماء ، ويتركونها فيه ، فإذا أمسوا ليلة
الأحد أخرجوه فأكلوه » ..!

هذه حيلة من حيلهم للاعتداء يوم السبت ...

واستمروا على ذلك زمناً فاستمرءوا المعصية ...

وذهبت مواظب الصالحين منهم هباء ... ولم يلتفتوا اليها وسخروا منهم
سخرية شديدة ...

« وإذا قالت أمة منهم » جماعة منهم ...

« لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً » لا جدوى من تحذير
هؤلاء المجرمين ... فكلمنا وعظمتهم ازدادوا اصراراً على اجرامهم ...

« قالوا معذرة إلى ربكم » سنستمر على تحذيرهم ... اعتذاراً إلى الله عن
أعمالهم ... حتى لا يعننا معهم بعذاب ...

« ولعلمهم يتقون » ولربما يأتي يوم ينتهون عن اجرامهم ويتوبون إلى ربهم ...

« فلما نسوا ما ذكروا به » فلما غفلوا تماماً ... واستمروا على اجرامهم ...
واستهانوا بتذكير اخوانهم ...

ماذا حدث ؟ !

نزل العقاب ... بالمجرمين ...

« أنجبينا الذين ينهون عن سوء » لأنهم أدوا ما عليهم ... ولم يشاركوهم
اجراماً ... ودأبوا على زجرهم ونهيبهم ...

« وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس » بعذاب شديد ...

فأصبحت المدينة ذات يوم ... فكانت المفاجأة ...

جميع الذين اعتدوا يوم السبت ... جميع الذين اصطادوا أو احتالوا على
صيد الأسماك يوم السبت ... انقلبوا إلى قردة وخنازير ...

مُسَخَّ الشَّبَاب منهم قردة ... والشيوخ منهم خنازير !..

« بما كانوا يفسقون » جزاء اجرامهم ... واستمرارهم على الإجمام ...
وعدم مبالاتهم بأوامرنا ... واستخفافهم بزواجرنا !..

وهناك في سورة البقرة ... من كتاب الله ... يسجل هذه الحادثة
عليهم فيقول :

« ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسنين .

« فجعلناهم نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين » !..

كونوا ... قردة !..

فانقلبوا فوراً ... الى قردة ؟ !.

انه أمر ... كن فيكون ...

وخرجوا من الحياة الأدمية ... ورُدُّوا الى الحياة القردية ...

كما انحطوا في تصرفاتهم الى مرتبة القرود ... التي لا تميز بين الخير والشر ...

فكان جزاؤهم ... أن ينزلوا الى تلك المرتبة ... نزولاً عملياً ... فصدر

الأمر ... كونوا قردة ...

لقد كرمناكم وجعلناكم بشراً ... وميزناكم بالعقل ... ووجهناكم الى ما فيه
رفعتكم وشرفكم ...

فأبيتكم الاسفولاً ... وهبوطاً ... والنخطاطاً ...
فانزلوا الى ما اخترتم لأنفسكم ...
وجعلناها نكلاً ... عقاباً ماثلاً أمام العالم كله ...
لما بين يديها وما خلفها ... لمن كان في زمانها ... ومن سوف يكون
مستقبلاً !..

انها اللعنة ...
« أو نلعنهم كما لعننا أصحاب السبت ... » !..
وأما السادة الشيوخ ... فانقلبوا الى خنازير ...
« وجعل منهم القردة والخنازير » !..
تبدلوا ... وتعفنوا ... رغم كبر سنهم ... الذي كان مفروضاً أن يمنعهم
عن مجارة الشباب في هوسهم ...

اختاروا التبذ ... كما يشتمر الخنزير بالبلادة ... ويتلذذ القاذورات ...
فلينزلوا إلى اختيارهم ...
وليهبطوا فوراً الى حقارتهم ... وليكونوا خنازير !..
ان هذا المسخ الذي حدث في تلك الواقعة الرهيبة ...
هو تنفيذ عملي فوري ... لإهباطهم الى حقيقتهم ...
« وكان أمر الله مقعولاً » !..

تلك هي الواقعة الرهيبة ... والحادية الخطيرة ...
التي وقعت في عهد الملك داوود ...
ولعنهم داوود ... لإجرامهم ... وإصرارهم على الإجرام ...
« لعن الذين كفروا من بني إسرائيل
على لسان داوود ... » !..

وَأَتَيْنَا ... دَاوُدَ ...
زَبُورًا ... ١٤.

« وربك أعلم بمن في السماوات والأرض .

« ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض .

« وآتيننا داوود زبوراً » ..!

فضلنا داوود على بعض النبيين ... بذلك الفضل الكبير ... آتيناه
كتاباً ... آتيناه زبوراً . . أي كتاباً ..!

ومن سورة النساء ... من كتاب الله الكريم :

« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده .

« وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسماء وعيسى
وأيوب ويونس وهارون وسليمان .

« وآتيننا داوود زبوراً » ..!

أي كما أوحينا إلى هؤلاء الأنبياء ... أوحينا إلى داوود زبوراً ... كتابه
الذي اختصصناه به ...

والزبور لغة هو الكتاب ... ويُجمع على زُبُر ... أي كُتُب ...

ولكن لماذا النص على الزبور بالذات ، من بين ما أوحى إلى الأنبياء ؟ ..

لعل السر في ذلك ... انه يراد ان يقال ... زيادة على ما ورثه داوود عن
الأنبياء السابقين عليه من لدن ابراهيم حتى بعثناه نبياً ... فإننا قد آتيناه فضلاً عن
هذه الثروة العريضة التي ورثها عن آبائه ... آتيناه منا فضلاً آخر ... ان
زدناه الزبور خاصاً به هو ... فاجتمع له فضل خاص به ... بالإضافة إلى الفضل

العام الذي ورثه عن موسى وسائر الأنبياء من بعد موسى ... إلى داوود ...
وهذا فضل واضح ... تفضل الله به على داوود ... فهناك كثير من الأنبياء
بُعثوا من بعد موسى ... ولكن لم يكن لهم كتاب خاص بهم ... وإنما تميز
داوود عنهم بالزبور ... فضلاً عليه من ربه ...

« ولقد آتينا داوود منا فضلاً » !..

قالوا : أي نبوة وكتاباً هو الزبور ... وصوتاً بديعاً ... وقوة وقدرة ...
ما أعظم هذا الفضل ...

ثروة ضخمة من الأنبياء والكتب من قبله ...

ثم ثروة جديدة خاصة به ... هو الزبور ...

فاجتمع له فضل سابق ... وفضل خاص !..

ليس هذا وحده ... وإنما آتاه الله منه صوتاً جميلاً ...

حتى اشتهر أن داوود كان أجمل الأنبياء صوتاً ...

وهذا الصوت البديع الجميل ... كان داوود يرتل الزبور ترتيلاً ...

ويؤج بصوته البديع ... إلى ربه موجاً ...

ولعل الإشارة إلى ذلك كذلك ... في قوله « وآتينا داوود زبوراً » ...

أي آتيناه أناشيد ينشدها لنا ...

وأغاريد يغردها لنا ... وآتيناه من أجل ذلك ... اجمل صوت ... ليفرد

لنا تفريداً ...

جمال ... جمال عجيب ...

وفضل ... فضل عظيم ...

الأغرودة ... تُوحى إليه ...

والصوت الجميل ... يتفضل به عليه ...

لأن الذي قدّر انزال الزبور على داوود ... هو الذي قدّر ايتاء داوود
الصوت الجميل ... ليتطابق عطاء الزبور ... مع عطاء الصوت الذي يفرد
بأغاريد الزبور ...

فسبحان الذي أعطى ...

وفضلاً أعظم من ذلك كله ... وإن كان العقل لا يستطيع أن يتصور أن
هناك فضلاً هو أعظم من ذلك ...

فضلاً عجبياً ... فاسمع واعجب ... وسبح ربك تسبيحاً ! ...

روى امام المحدثين ... في صحيحه ... صحيح البخاري ...

« عن أبي هريرة رضي الله عنه .

« عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« خُفِّفَ على داود عليه السلام القرآن .

« فكان يأمر بدوايه فتُسرج .

« فيقرأ القرآن قبل أن تُسرج دوايه .

« ولا يأكل إلا من عمل يده » ! ...

يا أيها العقل اذهب وتبدد ...

هذه معجزة ... لا سبيل لك إلى فهمها ...

قالوا في تفسير الحديث :

« خُفِّفَ » من التخفيف .

« القرآن » القراءة ... وقيل القرآن أي التوراة أو الزبور ..

« وقد يطلق القرآن على القراءة ...

« وقرآن كل نبي يطلق على كتابه الذي اوحى اليه ...
« فنكان » أي داود يأمر بدوابه وفي رواية ... بدابته ...
« قبل أن تسرج » وفي رواية ... فلا تسرج حتى يقرأ القرآن ...
وفيه الدلالة على ان الله تعالى :

يطوي الزمان لمن يشاء من عباده ... كما يطوي المسكان ...
وهذا لا سبيل إلا ادراكه إلا بالفيض الرباني ...
« وجاء في الحديث أن البركة قد تقع في الزمن اليسير حتى يقع فيه
العمل الكثير ...
« وقال النووي : أكثر ما بلغنا من ذلك من كان يقرأ ختمات بالليل
وأربعاً بالنهار ...
« ولقد رأيت رجلاً حافظاً قرأ ثلاث ختمات في الوتر ، في كل ركعة ختمة ،
في ليلة القدر ...
« قوله » ولا يأكل إلا من عمل يده « وهو من ثمن ما كان يعمل من الدروع
من الحديد بلا نار ولا مطرقة ولا سندان ، وهو أول من عمل الدروع من زرد
وكانت قبل ذلك صفائح » ...

ما هذا ؟ ..

هذا أمر عجيب ... سيبادر المحجوبون بمقولهم ... إلى الخيرة في تفسيره ...
كيف ... يكون هذا ؟ ..
وأقول ... هذا فضل الله يؤتيه من يشاء ...
ان داود يتشمع منه تفسير قوله تعالى « ولقد آتينا داود منّا فضلاً » ...

منّا ؟ !!

رأساً . . . من فوق نواويسكم الممهودة . . .

من وراء عقولكم . . .

مينتاً ؟ . . .

مينتاً . . . نحن الله . . . نفعل ما نشاء . . . ونفعل ما نريد . . . ونؤمن على

من نشاء من عبادنا . . . وتفضل على من نشاء . . .

مينتاً ؟ . . .

جهالها رفيع رفيع رفيع . . .

فضلاً ؟ . . .

كتاباً جديداً . . .

وصوتاً بديعاً . . .

وطيئاً للزمان جميعاً . . . فيقرأ هذا الكتاب في لحظات . . .

قبل أن يُسرج له فرسه . . . يكون داوود . . . قد طوى زبوره طياً

لا تقبل . . . كان يقرأ بقلبه . . . لا تقبل . . .

ان العقل آلة محدودة . . . تدرك المحدود . . .

أما مثل تلك المعجزات . . . فإنها وراء العقول . . .

فتأمل مدى سعة الفضل الإلهي . . . على داوود ؟ . . .

زبور . . . كتاب جديد . . . أغاريد جديدة . . .

صوت ليس كمثل صوت . . . يفرد تلك الأغاريد . . .

ثم الغاء الزمان . . . فيقع ذلك كله . . . في لحظات . . .

عليه السلام . . . لقد كان آية . . . وحياته آيات . . .

ثم ماذا ؟ . . .

ماذا قال ائمتنا الأقدمون؟

قالوا: « قوله (زبورا) هو اسم الكتاب الذي أنزل الله عليه ...

» عن ابن عباس قال: أنزل الله الزبور على داود عليه الصلاة والسلام، مائة وخمسين سورة بالعبرانية، في خمسين منها ما يلقونه من بختنصر، وفي خمسين ما يلقونه من الروم، وفي خمسين مواعظ وحكم، ولم يكن فيه حلال ولا حرام ولا حدود ولا أحكام.»

هذا قول منسوب الى ابن عباس رضي الله عنه ...

إذ ليس في الزبور فرائض ولا حدود ... لأن داود شريعته هي التوراة ... وأحكام الأنبياء من قبله ...

وإنما كان الزبور زيادة فضل ... موجة إلهية ... يقرن بها داود إلى ربه ...

كان الزبور ... ثناء على الله من داود ...

تسبيح لله ... تمجيد لله ...

شكر لله ... على ما أنعم وأعطى ...

مواعظ ... تلين لها القلوب ... وتدمع لها العيون ...

تسجيل لما كان من انتصارات على الأعداء ... بفضل من الله ... يستوجب الشكر والتعظيم ...

صراخ إلى الله ... في المآزق والأزمات ... أن ينصر عبده ... على أعدائه ...

وإن أهل الكتاب ليسمونه « المزامير » ...

ومن هذه المزامير ... نختار بعضها ... ونسجله هنا ...

لنأخذ فكرة عن نظم المزامير ... وأسلوبها ...

وبما طربت له طرباً عظيماً... ان ابن عباس قال هو « مائة وخمسين
سورة » ...

وقد وجدته عند أهل الكتاب ... مائة وخمسين مزموراً ..
فقلت الحمد لله ... ليس هناك اختلاف !..

المزمور الأول

« طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طريق الخطاة لم
يقف وفي مجلس المستهزئين لم يجلس .

« لكن في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً .

« فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه .

« التي تعطي ثمرها في أوانه .

« وورقها لا يذبل .

« وكل ما يصنعه ينجح .

« ليس كذلك الأشرار لكنهم كالعصفاف التي تذرهما الريح .

« لذلك لا تقوم الأشرار في الدين ولا الخطاة في جماعة الأبرار .

« لأن الرب يعلم طريق الأبرار .

« أما طريق الأشرار فتهلك » .

فإذا تأملت عبارة « فيكون كشجرة مغروسة... تعطي ثمرها في أوانه... »

تجد أن فيها شيء من نور قوله تعالى... في كتابه العظيم... القرآن

الكريم... المهيمن على ما سبقه من الكتب...

فيها من نور قوله تعالى :

« ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء .

« تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها » ...

وتأمل ما جاء في هذا الزبور الأول « تعطى ثمرها في أوانه » ...

وقوله تعالى « تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها » ..?

« ثمرها في أوانه » ...

« أكلها كل حين » ...

تشابه عجيب !..

إلا أن القرآن معجز لفظاً ومعنى... لا تبديل لكلمات الله ...

وأعلى وأشمل ...

ومهمناً على الكتب من قبله !..

ولا أطيل في هذه المقارنات ... لأن القرآن العظيم ليس كمثل كتاب ..

وواضح ان هذا المزمور ... فيه حكمة ... وأمثال ... وعظة ...

وتوجيه ...

نموذج آخر ...

﴿ المزمور الحادي والثلاثون ﴾

« عليك يا رب توكلت .

« لا تدعني أخزى مدى الدهر .

« بعدلك نجني .

« أمل إليّ أذنك .

- « سريعاً أنقذني .
- « كن لي سخرة حصن بيت ملجأ لتخليصي .
- « لأن سخرتني ومعقلي أنت .
- « من أجل اسمك تهديني وتقودني .
- « أخرجني من الشبكة التي خباؤها لي .
- « لأنك أنت حصني .
- « في يدك أستودع روحي .
- « فديتني يا رب إله الحق .
- « أبغضت الذين يراعون أباطيل كاذبة .
- « أما أنا فعلى الرب توكلت .
- « أبتهج وأفرح برحمته لأنك نظرت إلى مذاسمي وعرفت في الشدائد نفسي .
- « خسفت من الغم عيني .
- « نفسي وبطني .
- « لأن حياتي قد فنيت بالحزن وسئني بالتعهد .
- « ضعفت بشقاوتي قوتي وبليت عظامي .
- « عند كل أعدائي صرت عاراً وعند جيراني بالكلية ورُعباً لمهاري .
- « الذين رأوني خارجاً هربوا عني .
- « نسيت من القلب مثل الميت .
- « صرت مثل إناء سُتلف .
- « لأنني سمعت مذمة من كثيرين .

- « الخوف مستدير بي بمؤامرتهم معاً عليّ .
 « تفكروا في أخذ نفسي .
 « أما أنا فمليك توكلت يا رب .
 « قلتُ إلهي أنت .
 « في يدك آجالي .
 « نجني من يد أعدائي ومن الذين يطردونني .
 « أضيء بوجهك على عبدك .
 « خلصني برحمتك .
 « يا رب لا تدعني أخزي لأني دعوتك^(١) .
 « ليخز الأشرار .
 « ليسكنوا في الهاوية .
 « لتسببكم شفاه الكذب المتكلمة على الصديق بوقاحة بكبرياء واستهانة .
 « ما أعظم جودك الذي ذخرتَه لخائفك .
 « وفعلته للمتكلمين عليك تجاه بني البشر .
 « تسترهم بستر وجهك من مكائد الناس .
 « تخفيهم في مظلة من مخاصمة الاسن .
 « مبارك الرب لأنه قد جعل عجباً رحمة لي في مدينة محصنة .
 « وأنا قلت في حيرتي إن قد انقطعت من قدام عينيك .
 « ولكنك سمعت صوت تضرعي إذ صرخت اليك .

(١) تشبه إلى حد بعيد قوله تعالى : « ولم أكن بدعائك رب شقياً » . .

« أَحْيُوا الرَّبَّ يَا جَمِيعَ اتَّقِيَانِهِ .
 « الرَّبُّ حَافِظُ الْأَمَانَةِ وَمَجَازٍ بِكَثْرَةِ الْعَامِلِ بِالْكَبْرِيَاءِ .
 « لَتَشْدُدْ وَلَتَشْجِعَ قُلُوبَكُمْ يَا جَمِيعَ الْمُنْتَظِرِينَ الرَّبَّ » .
 وَإِذَا تَأَمَّلْنَا قَوْلَ دَاوُودَ فِي هَذَا الْمَزْمُورِ « أَضِيءْ بِوَجْهِكَ عَلَيَّ عَبْدُكَ » ...
 تَذَكَّرْنَا حَدِيثَ : « أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ » !..
 وَنَمُودِجٍ آخَرَ ... مِنْ مَزَامِيرِ دَاوُودَ ... أَوْ الزُّبُورِ ...

المزمور السادس والستون

« اهتفي لله يا كُتْلُ الْأَرْضِ .
 « رَنِّمُوا بِمَجْدِ اسْمِهِ .
 « اجْعَلُوا تَسْبِيحَهُ مَجْدًا .
 « قُولُوا لِلَّهِ مَا أَهْيَبَ أَعْمَالُكَ .
 « مِنْ عَظِيمِ قُوَّتِكَ تَتَمَلَّقُ لَكَ أَعْدَاؤُكَ .
 « كُلُّ الْأَرْضِ تَسْجُدُ لَكَ وَتَرْنُمُ لَكَ .
 « تَرْنُمُ لِاسْمِكَ .
 « سِيَادَهُ .
 « هَلُمُّوا أَنْظُرُوا أَعْمَالَ اللَّهِ .
 « فَعَلَهُ الْمَرْهَبُ نَحْوَ بَنِي آدَمَ .
 « حَوَّلَ الْبَحْرَ إِلَى يَبَسٍ وَفِي النَّهْرِ عَبَرُوا بِالرَّجْلِ .
 « هُنَاكَ فَرَحْنَا بِهِ .
 « مَتَسَلَطَ بِقُوَّتِهِ إِلَى الدَّهْرِ .

« عيناہ تراقبان الأمم .

« المتهمردون لا يرفعن انفسهم .

« سادة .

« باركوا إلهنا يا أيها الشعوب وسمعوا صوت تسبيحہ .

« الجاعل أنفسنا في الحياة ولم يُسام أرجلنا إلى الزل .

« لأنك جربتنا يا الله .

« محصتنا كمحص الفضة .

« أدخلتنا إلى الشبكة .

« جعلت ضفطاً على متوننا .

« ركبت أناسا على رؤوسنا .

« دخلنا في النار والماء ثم أخرجتنا إلى الخصب .

« ادخلُ إلى بيتك بمُحرقات أوفيك نذوري .

« التي نطقت بها شفثاي وتكلم بها فمي في ضيقي .

« أصدك مُحرقات سمينة مع بخور كباش أقدم بقرا مع تيروس .

« سادة .

« هلم اسمعوا فأخبركم يا كُمل الخائفين الله بما صنع لنفسي .

« صرختُ إليه بعمي وتبجيلُ على لساني .

« ان راعيت أثمًا في قلبي لا يستمع لي الرب .

« لكن قد سمع الله .

« أصغى إلى صوت صلواتي .

« مباركُ الله الذي لم يُبهدِ صلاتي ولا رحمته عني » .
وهذه الكلمات الأخيرة : « مبارك الله الذي ... » ...
فيها من أنوار قوله تعالى : « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير » .

ان « مبارك الله النبي » ...
تدخل تحت مظلة قوله سبحانه « تبارك الذي » !..
وقول داوود ... في هذا المزمور : « كل الأرض تسجد لك وترنم لك » ...
تدخل تحت اشعاعات قوله تعالى : « يسبح الله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » !..
وقول داوود في هذا المزمور « عيناه تراقبان الأمم » ...
تقع تحت ظلال قوله تعالى : « ... إن الله كان عليكم رقيباً » !..
ثم ماذا ؟ .

ثم ها هو نموذج آخر ... من مزامير داوود ... أو الزبور ...

المزمور السادس والثمانون

— صلاة لداود —

« أمِلْ يَا رَبُّ اذُنَكَ .

« اسْتَجِبْ لِي » .

« لِأَنِّي مَسْكِينٌ وَبَائِسٌ أَنَا .

« أَحْفَظْ نَفْسِي لِأَنِّي تَقِي .

« يَا إِلَهِي خَلِّصْ أَنْتَ عَبْدَكَ الْمُتَكَلِّمُ عَلَيْكَ .

« ارحمني يا رب لأنني اليك أصرخ اليوم كله .
 « فرّح نفس عبدك لأنني اليك يا رب أرفع نفسي .
 « لأنك أنت يا رب صالح و غفور وكثير الرحمة لكل الداعين اليك .
 « اصغ يا رب إلى صلاتي وأنصت الى صوت تضرعاتي .
 « في يوم ضيقي أدعوك لأنك تستجيب لي .
 « لا مثل لك بين الآلهة يا رب ولا مثل أعمالك .
 « كل الامم الذين صنعهم يأتون ويسجدون أمامك يا رب ويمجدون اسمك .
 « لأنك عظيم أنت وصانع عجائب .
 « أنت الله وحدك .
 « علمني يا رب طريقك أسلك في حقلك .
 « وحد قلبي لخوف اسمك .
 « أحمدك يا رب إلهي من كل قلبي وأمجّد اسمك الى الدهر .
 « لأن رحمتك عظيمة نحوي وقد نجيت نفسي من الهاوية السفلى .
 « اللهم المتكبرون قد قاموا عليّ وجماعة العتاة طلبوا نفسي و
 يجعلوك امامهم .
 « أما انت يا رب فاله رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة والحق .
 « التفت إليّ وارحمني .
 « اعط عبدك قوتك وخلص ابن امك .
 « اصنع معي آية لاخير فيرى ذلك مبغضني فيخزوا لأنك أنت يا رب
 أعنتني وعزيتني » .
 ان داوود هنا ... ينادي ربه ...

فتتلاًلاً حقيقته ... بلا حجاب ...

لأن المقام ليس مقام داوود والخلشق ... وإنما داوود والرب ...

وفي المناجاة ... يخلع العبد حجابيه ...

لأنه أمام من يراه ... ظهراً لبطن ... وبطناً لظهر ...

قول داوود هنا: « لا مِثْل لك ... ولا مِثْل أعمالك » ...

يدخل تحت اشعاعات ... قول الله تعالى المعجز:

« ... ليس كمِثْلُه شيء » !..

ولكن الفارق بعيد بعيد ...

فما قاله داوود ... جزء من كل ... وقطرة من بحر ... وذرة من مجرة ...

أين « لا مِثْل لك ... ولا مِثْل أعمالك » ...

من « ليس كمِثْلُه شيء »؟! ..

فكر طويلاً ... تدرك شيئاً ... من الفارق البعيد ...

لقد جاء داوود بأقصى ما يستطيع عبد من الثناء والتزويه لربه ...

ولكن حين يتكلم الله عن ذاته ... يكون كلامه تعالى شيئاً فوق الإدراك البشرى ...

ويكون فرق ما بين كلامه وكلام عباده ... كالفرق بين الله والناس! ..

ونختم هذه التماذج ... من مزامير داوود ... أو الزبور ... بمقتطفات من المزامير الأخيرة ...

﴿ من المزمور المئة والثامن والأربعين ﴾

« هَلِّلُويا .

« سبحوا الرب من السماوات سبحوه في الأعالي .

« سبحوه يا جميع ملائكته سبحوه يا كل جنوده .

« سبحيه يا أيتها الشمس والقمر سبحيه يا جميع كواكب النور .

« سبحيه يا سماء السماوات ويا أيتها المياه التي فوق السماوات .

« لتسبح اسم الرب لأنه أمر فخلقت .

« وثبتها إلى الدهر والأبد .

« وضع لها حداً فلن تتعداه

« سبحي الرب من الارض يا أيتها التنانين وكل الـسـجـج .

« النار والبرد الثلج والضبـاب الريح العاصفة الصانعة كلمته .

« الجبال وكل الآكام الشجر المشمر وكل الأرز .

« الوحوش وكل البهائم الدبابات والطيور ذوات الأجنحة .

« ملوك الارض وكل الشعوب الرؤساء وكل قضاة الارض .

« الاحداث والعداري أيضاً الشيوخ مع الفتيان .

« ليسبحوا اسم الرب لأنه قد تعالى اسمه وحده .

« مجده فوق الأرض والسماوات » ...

ان داوود هنا... يهتف على مستوى الكون كله... وينادي أهل السماوات

وأهل الأرض... وما وراءهما... ان يسبحوا اسم الرب...

ينادي المراتب كلها... علويها وسفليها...

ان يفردوا أجمعين أغرودة واحدة ... لربهم أجمعين ...
انها النبوة ... تتحدث ... وتمجد ربها ... في توحيد شامل عام ...
الكل فليسبح ... ولينشد نشيداً واحداً ... لرب واحد ... خالق كل
شيء ... فليسبحه كل شيء كان أو يكون ...
لماذا؟!

« لأنه أمرَ فخلِّقَت » ..!

انها تدخل تحت اشعاعات قوله تعالى : « ألا له الخلق والأمر تبارك الله
رب العالمين » ..!

وانظر ها هنا ... في هذا المزمور إلى قوله : يا سماء السماوات ويا أيتها المياه
التي فوق السماوات ...

وانظر اليها في اشعاعات قوله تعالى : « وكان عرشه على الماء » ..!

ان داود ها هنا ... يتصاعد ويتصاعد ... ويمتد ويمتد ... وينظر إلى
الوجود باليمين السكينة ...

فالكائنات جميعاً ... كون واحد ... يستوي على عرشها إله واحد !..

ثم ماذا ؟ ..

ثم نقتطف هذه الموجة الجميلة ... من المزامير ... لتكون حسن الختام ...
بما قدمناه من المزامير ...

المزمور المئة والخمسون

هَلْأُويَا .

« سبحوا الله في قدسه .

« سبحوه في فلك قوته .

- « سبحوه على قوائمه .
- « سبحوه حسب كثرة عظمته .
- « سبحوه بصوت الصُور سبحوه برباب وعود .
- « سبحوه بدف ورقص .
- « سبحوه بأوتار ومزمار .
- « سبحوه بصُنُوج التصويت .
- « سبحوه بصُنُوج الهتاف .
- « كل نسمة فلتسبح الرب .
- « هَلِّلُويا » .
- وأخيراً ... وليس آخراً ...

لو ذهبنا نتتبع المزامير المائة والخمسين ... شرحاً ... وسَبَّحاً ...
ومقارنة ... لخرج هذا الكتاب عن هدفه ... وإنما حسبنا هذه النماذج القليلة
من المزامير ... وقد يكون في القطرة كل ما في البحر من عناصر ...

ويمكن أن نقول ... ان هذا الفصل كله من الكتاب ... هو مجرد إشارة
إلى قوله تعالى :

« وأتينا داوود زبوراً » !..

الملك ... الصائم ... ١٩

أمرهم ...

أولئك العظماء ...

أولئك الأنبياء ...

كله عجب !..

فمن المعلوم ان الملوك ... ملوك الدنيا ... يستمتعون بأبهة الملك ...
ولائم ... حفلات ... مآذب ... زينة ... مواكب ... تحيات وتعظيمات ...
إلى آخر بروتوكولات الملوك ...

ولكن الأنبياء إذا صاروا ملوكاً لا يلهيهم الملك وزينته ... عن كونهم
لله عباداً ...

ومن هنا كان الثناء على داوود « واذكر عبدنا داوود » ...

أي انه يعمل ملكاً ... ولكنه ما زال عبداً ...

والعبودية لله ... تمنعهم أن يلتفتوا عن الله طرفة عين .

ومن باب أولي تمنعهم ... عن التعلق بزينة الملوك ... وتراهم في الملوك ...
وليسوا منه في شيء !..

« عن عبد الله ابن عمرو قال :

« قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- « أحب الصيام إلى الله صيام داود .
- « كان يصوم يوماً ويفطر يوماً .
- « وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود .
- « كان ينام نصف الليل .
- « ويقوم ثلثه .
- « وينام سدسه » .

[أخرجه البخاري]

ذلّم النبي المملّك ... داوود !..
« كان يصوم يوماً » هو هكذا دائماً ...
« ويفطر يوماً » يوم إفطار ... ويوم صيام !..
وهذا شيء لا يستطيعه الملوّك ... لأن للملك مقتضيات تمنع الملوّك من أن
يمشوا دائماً ... في صيام ...
ولكن الأنبياء أنبياء ... قبل أن يكونوا ملوكاً ... فإذا صاروا ملوكاً ...
كانت النبوة حاکمة على المملّك ... وليس العكس !..
وقوله صلى الله عليه وسلم : « أحب الصيام إلى الله صيام داود » ... يشير
إلى أن داوود أحب عباد الله إلى الله ... في زمانه ...
لأن من كانت صفاته أحب إلى الله ... كان هو نفسه أحب إلى الله ...
لأن الشخصية لا تتجزأ ... فمن كانت أفعاله هي أحب الأفعال إلى الله ...
كان صاحب هذه الأفعال أحب العباد إلى الله ...
ويؤكد لنا ذلك ... ذلك الحديث :

« عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال :
« أخبِر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنني أقولُ والله لأصومن النهار
لأقومن الليل ما عشت .

« فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت الذي تقول والله لأصومن
لنهار ولأقومن الليل ما عشتُ ؟

« قلت : قد قلته .

« قال : إنك لا تستطيع ذلك .

« فصُم وأفطر .

« وقم ونم .

« وصم من الشهر ثلاثة أيام ، فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل
صيام الدهر .

« فقلت : اني اطيق افضل من ذلك يا رسول الله .

« قال . فصُم يوماً وأفطر يومين .

« قال : قلت : اني اطيق افضل من ذلك .

« قال : فصُم يوماً وأفطر يوماً .

« وذلك صيام داود .

« وهو عدل الصيام .

« قلت : اني اطيق افضل منه يا رسول الله .

« قال : لا افضل من ذلك ، .

[أخرجه البخاري]

شهادة شريفة ... من أشرف الأنبياء ...

لنبي الله داوود ... عليه السلام ...

« لا أفضل من ذلك »؟! .

أي ما اختاره داوود ... هو أفضل اختيار ... وأرقى أسلوب من
أساليب الصيام ...

هو كما قال صلى الله عليه وسلم : « أحب الصيام إلى الله صيام داود »! .

أي أرقى الصيام عند الله ... صيام داوود! .

لأن من صام الأيام كلها متواصلات ... ألف هذا الأسلوب من الحياة ... فلا
يُعتبر في الحقيقة صائماً ...

وإنما الصعوبة ... أن تصوم يوماً ... ثم تكسر عادتك وتفطر يوماً ... ثم
تكسر ما ألفت وتعود صائماً ...

فها هنا تتقلب بين الاطلاق ... والتقييد ... فتترقى إلى أعلى ...

وتستمكن من نفسك ... تكبجها متى شئت ... وتطلقها متى شئت ...

فتتحقق المجاهدة ... وتجوع يوماً ... وتشبع يوماً ...

واختيار الأنبياء دائماً ... هو أعلى اختيار! .

ثم ماذا؟! .

ثم نعود إلى صائنا الكريم ... نبي الله الكريم ... داوود عليه السلام ...

انه مَلِك ... والمُلْك مهمة شاقة ... تستلزم خوض الصعاب ...
ومخالطة الناس ...

ومشاركة الملوك أساليب حياتهم ...

وما هنا الصعوبة ... أن يصادم داوود ... كل ما عليه الملوك ...
ويأوى إلى ربه ...

يصوم يوماً ... ويفطر يوماً ...
هذه هي العظمة ... ان يكون المُلْكُ بإمكانياته كلها ... تحت يديك ...
ورهن إشارتك ...

ثم تترك ذلك كله ... وتُمسك عن الطعام ... طيلة يومك ... ابتغاء
مرضاة الله ...

ان الله ما هنا أحب إليه مما سواه ...
ثم يزداد حُباً ثم حُباً لربه ...
فيمكون أسلوبه هكذا ... طيلة حياته ... يصوم يوماً ... ويفطر يوماً ...
عزيمة خارقة ... وإرادة جبارة ...
انها إرادة نبي ... وما أدراك ما إرادة الأنبياء !..
فهل وقفت عظمة النبي الملك ... عند هذا؟! ..
كلا ... اليك ما هو أعجب وأغرب !..

الملك ... القائم ...!

في ...

حديثه صلى الله عليه وسلم يقول :
« وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود .
« كان ينام نصف الليل .
« ويقوم ثلثه .
« وينام سدسه » .

[أخرجه البخاري]

ذلكم داوود ...
وذلكم ليل داوود ...
هو هكذا طيلة حياته ...
قائم طيلة السحر ... من كل ليلة لربه !...
لأن قيام الليل بالنسبة إلى الأنبياء ... نظام لازم ... واجب ...
بل مفروض ...
« يا أيها المستزمل .
« قم الليل إلا قليلاً .
« نصفه أو انقص منه قليلاً .
« أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً » .

والأمر الصادر هنا إلى خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ...
 جعل قيام الليل ... فريضة ...
 لماذا؟! ..
 «إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً» ..!
 يحتم اعدادك اعداداً خاصاً ... فوق مستوى البشر ...
 لتتحمل الوحي ... وتصبر على مشاق التبليغ ...
 وداوود ... نبي ... فعلية أن ينتظم على سلوك الأنبياء ...
 هذا عن ضرورة قيام الليل ... لكل نبيّ ...
 ولكن هناك دافع وراء ذلك ...
 دافع هو في الحقيقة ... حقيقة قيام الليل ... بالنسبة إلى الأنبياء ...
 إنه الحُبّ ...
 والمحبة لا يطيق فراق محبوبه ...
 والأنبياء أشد الناس حُباً لله ...
 فيدفعهم ذلك الحُبّ ... أن يبأدروا إذا جنّ الليل ... وهجعت الميرون ...
 إلى ربهم ...
 فقيام الليل عند الأنبياء ... أحب لحظات اليوم كله اليهم ...
 وداوود ... نبي من الأنبياء ... يحركه الحب إلى ربه ...
 فيقوم لله ... كل ليلة ... في السحر ...
 يؤوّب تأويباً! ..
 ما منعه المملّك ليلة ... عن قيام الليل ...
 والمملّك مسؤوليات ... ولكن حب الله ... أحب إليه من كل شيء ..

ماذا كان يقول داوود ... في قيامه كل ليلة لربه؟! .

الله أعلم ...

ولكن أغلب الظن ... أنه كان يقرأ شيئاً من الزبور ... يمجده فيه ربه ويثني

عليه ويعظمه تعظيماً! ..

وأغلب الظن ... أن قيامه كان يجمع بين أنواع التوجه كلها ...

تارة قراءة ... وتارة ركوعاً ... وتارة سجوداً ...

وتارة دعاء ... وتارة ثناء ... وتارة تمجيداً ...

ولكن يبقى الأمر سرّاً ... بين الله وعبيده داوود ...

إنها لحظات الخبّ ...

يتجلى الله عليه فيها ... بما شاء ...

ويتلأأ داوود فيها ... بما شاء له ربه ...

ولا مدخل لأحد ... بينها ...

إنه الله ... وعبيده ... الاثالث الهما! ...

وانظر هنا ... شيئاً مما كان يقوله خاتم النبيين في قيامه بالليل :

« عن ابن عباس :

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام إلى الصلاة من جوف

الليل يقول :

« اللهم لك الحمد .

« أنت نور السماوات والأرض .

« ولك الحمد أنت قيام السماوات والأرض .

« ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهم .

« أنت الحق .

« وقولك الحق .

« وبوعدك الحق .

« ولقاؤك حق .

« والجنة حق .
« والنار حق .
« والساعة حق .
« اللهم لك أسلمت .
« وبك أمنت .
« وعليك توكلت .
« وإليك أنبت .
« وبك خاصمت .
« وإليك حاكمت .
« فاغفر لي ما قدمت وأخرت .
« وأسررت وأعلنت .
« أنت إلهي لا إله إلا أنت » .

[أخرجہ أبو داود]

إنه مقام ...

رب ... وعبد ...

وعبد ... ورب ...

إنه مقام : « ومن الليل فتجهد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك
مقاماً محموداً .

لحظات قيام الليل عند الأنبياء ... لحظات الحُب ...

وما أدراك ما حُب الأنبياء ...

ثم ما أدراك ما حُب الأنبياء !؟

الملك ... يأكل ...

من عمل يده ...؟!

وهذه ...

أعجب وأعجب ...

المسك ... يطلب إلى الله ... أن يأكل من عمل يده ...

فمن من ملوك الدنيا ... يفعل ذلك ؟ !

ولكنه نبي الله داوود ..

« عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« خُتِفَ علي داود عليه السلام القرآن فكان يأمر بدوايه فتُسرج فيقرأ

القرآن قبل أن تُسرج دوايه .

« ولا يأكل إلا من عمل يده » .

[أخرجه البخاري]

والفقرة التي يركز عليها هنا ... هي قوله صلى الله عليه وسلم :

« ولا يأكل إلا من عمل يده » !!

المسك ... ذو الملك العريض ...

لا يأكل ... إلا من عمل يده !؟

هذه قوره عجيبة ... من شخصية داوود ..

فلو أخذ أجراً ... على مهمة المسك ... فإن هذا جلال وجائز ... لأنه

منقطع لوظيفته السياسية ورئاسة الدولة ...
ولكن هو فوق الجائز ... ووراء الحلال ...
انه يريد أن يكدح ... ويمرّق ... ويأكل من عمل يده ...
لا يريد أن تفوته فضيلة واحدة من الفضائل ...
« لا يأكل إلا من عمل يده » وهو من ثمن ما كان يعمل من الدرّوع
من الحديد ...
ما قصة ذلك؟! .

قال تعالى :

« ولقد آتينا داوود مِثْنًا فضلاً .

« يا جبالُ أوّبي معه والطيرَ .

« وألنا له الحديد .

« أن اعمل سابغات وقدر في السردِ واعملوا صالحاً إني بما تعملون

بصير » .

« وألنا له الحديد » فصار في يده مثل الشمع .

وكان سأل الله أن يسبب له سبباً يستعني به عن بيت المال فيتقوت منه
ويطعم عياله ، فألان له الحديد .

« ان اعمل سابغات » ان اصنع دروعاً سابغات أي كوامل واسمات .

« وقدر في السرد » أي لا تجعل المسامير دقاقاً ولا غلاظاً ...

أي : لا تدق المسامير فيتسلل ، ولا تنلظها فيفصمها ... ويقطعها ...

« واعملوا صالحاً » والعمل الصالح بالنسبة إلى نبي كداوود ... أن يأكل

من عمل يده ... فإنه أرقى وأزكى وأشرف ...

وقال تعالى :

« وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤَسٍ لَّكُم لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ » .

« وعلمناه » وعلمنا داوود عليه السلام ...

« صنعة لبؤوس » اللبوس عند العرب : السلاح كله ، كان درعاً أو جَوْشَناء ،
أو رمحاً ، وهو في هذا الموضع : الدرع .

« وقيل : كان داود - عليه السلام - أول من سَرَدَ الدرع .

« لتحصنكم من بأسكم » لتسحر زكم إذا لقيتم فيه أعداءكم ؛ والبأس : القتال .

أي : وعلمنا داوود صناعة السلاح ... بأنواعه ...

فبرع في صناعة الدروع ... وذلك بفضل آتيناه ... أن أنسأ له الحديد ...

فجعل يشكل منه الدروع ... كيفما شاء ...

وباع انتاجه ... وصنعة يده ...

وأكل من عمل يده !..

وانذكر هنا ... حين جاء الغلام داوود ... ساعة خروجه لمبارزة جالوت ...

وكيف ألبسه طالوت ... ملابس الحرب ... فتعثر فيها لعدم سابق عهده

بها ... وألقاها عنه ...

وها هو الآن يتخصص في صناعة السلاح ... ووبرع في صناعة الدروع ...

ويبتكر منها أصنافاً لا تؤثر فيها السيوف ولا الرماح !..

الملك... لا يفوز...

إذا رقتو... ١٩

صفة عليا . . .

بالإضافة إلى صفاته العليا السابقة . . .

« عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

« قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ألم أنبأ أنك تقوم الليل وتصوم النهار .

« فقلت : نعم .

« فقال . فانك إذا فعلت ذلك هجمت العين ونفخت النفس .

« صم من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر .

« أو كصوم الدهر .

« قلت : إني أجدني .

« قال مسمر : يعني قوة .

« قال : فصم صوم داود عليه السلام .

« وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً .

« ولا يقرئ إذا لاقى . »

[أخرجه البخاري]

« هجمت » أي غارت .

« نهيت » أي ضمنت :

« ولا يفتر إذا لاقى » ببيان ان صومه ما كان يضاعفه عن الحرب .

هذا شيء عجيب !..

رجل دائماً .. يصوم يوماً .. ويفطر يوماً ..

ولا يفتر في الحرب إذا لاقى عدوه ..

بل هو أسرع الناس إلى لقاء الأعداء .. مهبا كانوا .. ومهبا كان الخطر؟!

ولقد رأبناه غلاماً .. حين تراجع الجميع .. وعلى رأسهم ظالوت ...

حق قالوا « لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » ..

وجعل جالوت كل يوم .. يخرج في تيسه وفخر .. ينادي : هل

من مبارز ...

ولا أحد يجرؤ على الخروج اليه ..

حق جاء ذلك الغلام .. وخروج اليه .. وصرعه .. واستل سيف جالوت

من جالوت .. وقطع رقبتة بسيفه ..

فما دليل ذلك؟! ..

دليله ان هؤلاء الأنبياء .. أوثقوا قوة ليس كمثلها قوة في البشر ..

انهم لا يخافون أحداً إلا الله ..

فإذا كانت الحرب .. كانوا أول من يقاتل .. وأجراً من يحارب ..

ولو وقفت الدنيا كلها تتخداهم ..

واضح ذلك .. في جميع معارك داوود ..

هكذا موقفه الخالد « وقتل داوود جالوت » .. إلى آخر حياته ..

ما دخل معركة إلا كان على رأس جيشه ..

وأسبق فرسانه إلى لقاء العدو ...
« ولا يفر إذا لاقى »!؟
بطولة ليس كمثلها بطولة ...
« الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ... »! ...
تجد تلك البطولة واضحة ... حين وقف ابراهيم وحده ... والدولة كلها
وعلى رأسها نمرود ... وهو شامخ لا يتزلزل أمامهم ...
وتجده واضحاً ... حين حشد فرعون جميع الدولة وهو على رأسها
يوم الزينة ...
ووقف موسى وحده ... أمامهم ... لا يتزحزح ...
ثم ما هو نفس الأمر ... في داوود ... حين خرج الى جالوت وجيشه ...
وحده ... بلا سيف ولا رمح ... وجندله في دمانه! ..
وهكذا ... رأينا ملكاً ...
ولكن ... صائناً ...
ورأينا ... ملكاً ...
ولكن ... قائماً ...
ورأينا ... ملكاً ...
ولكن ... يأكل من عمل يده ...
ثم ها نحن نراه ... ملكاً ...
ولكن ... لا يفر إذا لاقى ...
تلك المفاتيح العلى ... من شخصية داوود ...
وكم لشخصيته من مفاتيح! ..

اعملوا ... آل داوود ...

شكراً ... ١٩

حيثُني ...

قوله تعالى : « ولقد آتينا داوود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد .

« ان اعمل سابقاتٍ وقَدَّر في السمواتِ واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير » .

والذي حيثُني ... هو قوله « وألنا له الحديد » ...

ذهب المفسرون القدامى أن إلانة الحديد لداوود ... ان جعله الله في يده كالشمع يشكّل منه ما يشاء من دروع سابغات ... ذوات مسامير وحلّاق ... إلى آخر ما قالوا ... بدون مطارق أو سندان أو ايقاد لئيران ...

قد يكون هذا صحيحاً ... كعجزة لداوود ... خاصة أنه قال « وألنا له » له هو ... لداوود خاصة ...

ولكن ما الذي يمنع أن يمتد المعنى ... إلى ما يناسب عظمة داوود الملك المتربع على عرش دولة عظيمة ... لها أعداء كثيرون ؟!

ما الذي يمنع أن يكون إلانة الحديد ... بمعنى أرشدها وعلماها اقامة صناعة الصلب والحديد ...

لأن هذه الصناعة هي أساس اعتماد الدولة على نفسها في لوازم قواتها المسلحة من أدوات للحرب ... وملابس حربية ؟!

ووجدت قوله تعالى: «وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحسنكم من باسكم»...
وجدته يؤيد ما ذهب اليه ...
وعلمنا داوود صنعة لبوس ... صناعة ملابس الحرب وأدوات الحرب ...
لتحسنكم من باسكم ... لتمنعكم من باس أعدائكم ...
والخطاب هنا الى الأمة كلها ... التي على رأسها الملك داود ...
ثم وجدت قوله تعالى: «اعملوا آل داوود وشكراً» ... يؤيد
ذلك المعنى ...
أي ... ألتنا الحديد لداوود خاصة معجزة له ...

ثم علمناه ... أرسدناه أن يؤسس صناعة الحديد والصلب في الدولة ...
«صنعة لبوس لكم» ... ويعمل وعباً جديداً في الشعب ... ويعلمه كيف يلين
الحديد بالصهر في الأفران ... وكيف يشكل منه الدروع الواقيات ذوات
السرد ... ذوات الحلق المتراكبات والمسامير التي تشدها الى بعضها البعض ...
وبذلك تتفوق الأمة على أعدائها ... حيث انها أصبحت تمتلك صناعة
الحديد والصلب ... وتصنع بيدها ما يلزمها من تسليح قواتها المسلحة من عتاد
وأدوات وملابس للحرب ... وبذلك تصبح متفوقة على أعدائها ...

وهذا يؤيد وصف داوود «واذكر عبدنا داوود ذا الأيد» ... ذا القوة ...
صاحب القوة في ملكه ودولته ... «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن
رباط الخيل» ...

هذا ما فهمته من مجموع الآيات الكريمات ...

وقد ذهب اليه بعض المفسرين ... حيث قالوا أنه أول من صنع الدروع
الحديدية ...

انها صناعة الحديد والصلب ... انها مصانع الأسلحة وأدوات الحرب ...

التي هي أساس القوة لأي دولة ... تريد أن تقرر وجودها الدولي ... وتتفوق
على أعدائها ...

فبالنسبة إلى داوود نفسه « وألنسا له الحديد » ... كان ذلك معجزة ...

ثم بالنسبة إلى الشعب كله ... « وألنسا له الحديد » ... يكون بإقامة
مصانع الحديد ... وصهره وإلانتة بالصهر ... ثم تشكيل أدوات الحرب
وأسلحته منه بعد ذلك ...

وعلى ذلك يكون قوله تعالى : « اعملوا آلَ داوودَ » أمر من الله إلى
الشعب كله ... أن يؤسس مصانع الحديد ... مصانع الأسلحة ... لأنها أساس
القوة لكل أمة تريد أن تكون مرهوبة من أعدائها ...

« شكراً » واشكروا لي ولا تكفرون ... أي اجعلوا هذه الصناعات ...
وهذه الأسلحة في سبيلي وإعلاء لكلمتي ... وهذا هو الشكر في حقيقته ...

ان تستعمل النعمة ... فيما يُرضي المنعم ...

وهو يطابق قوله تعالى في آية أخرى : « فهل أنتم شاكرون » !..

فهل أنتم مستعملون لهذه الأسلحة ... وتلك القوة في إعلاء الحق ... أم
ستدفعكم إلى البغي والعدوان؟! .

يا . . . جبال . . . أوبي . . .

كل ...

ما مضى من حياة داوود ... في هذا الكتاب شيء ... وهذا الأمر شيء آخر !..

ذلك ان داوود الظاهر للناس ... شيء يفهمه الناس ...

أما داوود الباطن ... فشيء لا يفهمه الناس !..

وهذا هو العجب العجيب من ذلك الأمر الذي ندخل اليه ...

داوود ... الغلام البطل ... قاتل جالوت ... شيء مفهوم ...

داوود ... المملك ... المنتصر في معاركه كلها ... قاهر أعدائه ...

شيء مفهوم ...

داوود ... الملك ... الصائم ... القائم ... الذي يأكل من عمل يده ...

ولا يفر إذا لاقى ... أخلاق رفيعة ... يمكن للناس فهمها ...

أما هذه ... فلا سبيل الى فهمها !..

أما قوله تعالى :

« ولقد آتينا داوودَ مِنَّا فَضلاً .

« يا جبالُ أوَّيِّ معه .

« والطيرَ ... »؟! .

ما هذا ... كيف هذا؟! .

أما قوله تعالى :

« اسبر على ما يقولون واذكر عبدنا داوود ذا الأيد إنه أواب » .

« إنا سخّرنا الجبال معه يُسبغن بالعشي والاشراق .

« والطيّر محشورة كليل له أواب » .

ما هذا ... كيف هذا ؟ ..

ما سر ذلك ... وما سلطان داوود على الجبال والطيّر ... وما علاقته
بهؤلاء ... هل هم من الناس فيمتد ملكه اليهم ؟ ..

انه داوود ... الباطن ...

وملك داوود الظاهر ... على مملكته والناس ... والذي يركز عليه
الناس ... رغم عظمتهم وضخامتهم وفخامتة ... يُعتبر ذرّة من بحر ملك
داوود الباطن ...

ذلك أن ملك الدنيا محدود ... والملك الباطن لا محدود ...

ملك الدنيا ... على قطعة من الكرة الأرضية ...

أما هذا الملك الباطن ... فيمتد على مستوى الكون ...

لا تعجب ... ولا تسارع الى الافتتان والتكذيب ...

فسوف ترى بعينيك ... وتسمع بأذنيك ...

ومن البداية ... ثبت فؤادك ... ورتل هذه ترتيلاً ...

« ولقد آتينا داوود وسلیمان علماً .

« وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين » .

ثم رتل ... لتزداد تثبيتاً ...

« وورث سليمان داوود وقال يا أيها الناس علمنا منطلق الطير .

« وأوتينا من كل شيء ..
« إن هذا هو الفضل المبين » ..!
لا تتزأل ... فنحن أمام القدرة ...
والقدرة الإلهية ... لا يدركها الخسائق ...
« وما أقدر وألله حق أقدر » ..!
ونحن أمام الفضل الإلهي ...
وفضل الله ... لا تدركه العقول ...
ثم نحن أمام داوود ... اقتطب زمانه كله ...
أعلى فرد في البشر في زمانه ...
نحن أمام مجلي الفضل الإلهي ...
وكذلك الله ... إذا تفضل ...
لا تقبل كيف ... ولماذا ... فمثلك وسوا من النفوس ...
والكن قل : بيوت الفضل من يشاء ... والله ذو الفضل العظيم ...
والقائل أن يقول : ان صاحبنا يلجأ إلى الخيال ... نريد أن نعرف سر
هذا الأمر ولا حاجة بنا إلى كثرة المقال .
نعم ... ولنندخل الآن إلى البحر ... بحر داوود ...
إلى أمواجه ... أمواج داوود ...
« ولقد آتينا داوود حسنا فضلا » آتينا زيادة عن المهود في الملوك ...
فالمملوك يحكمون في الظاهر ... يحكمون في الناس ...
والكن داوود ... زدتاه ... فضلا ... مننا ...

« وآتاه الله الملك » الملك الظاهر ... المعهود ... سخرنا له الأمة كلها...
فأطاعته ... وصار عليها ملكاً ... يأمر وينهي ...

ولكن داوود ... لا يقف عند ما ينتهي اليه الملوك ... لماذا؟

« يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض » والخليفة هو الذي يحكم في
الظاهر كما يحكم الملوك ... ويحكم في الباطن وهذا ما لا سبيل للملوك اليه !
ومن هنا صدر الأمر :

« يا جبال أوّبي » يا جبال الأرض ... يا كسل الأرض ... لأن الجبال
إشارة إلى اليابسة كلها ... لأن الأرض كلها جبال ... كلها مادة ترتفع وتنخفض
على تقدير ...

« أوّبي » رجّمي ... ردّدي ... سبّحي ... غرّدي ... غسّبي ...
انشّدي ... زفّزي ... تموجي ...

« معهُ » مع داوود ... مع الخليفة الحاكم عليك ...

وهذا يقتضي تسخيرها لداوود ... كي تطيمه ولا تعصى له أمراً ...

« إنّنا سخرنا الجبال معهُ » فالجبال مسخرات بأمر الله ... والله أن
يسخرها لمن شاء من عباده ...

ما حدود هذا التسخير ... وهل هو تسخير مطلق ... يفعل بها داوود
ما يشاء ؟! فإذا قال لها زولي ... تزول ؟!

كلا ... حدود التسخيرها هنا في مجال « أوّبي » ...

في مجال « يسبحن بالهمني والاشراق » ...

في مجال التسبيح !..

ولا سلطان له عليها ... فيما وراء ذلك !..

جمال عجيب عجيب ...

ومن هنا « آتينا داوود زبوراً » ... آتيناها أعلى أناشيد الثناء علينا في
 زمانه ... لأنه قطب زمانه ...
 ثم ضمنا موجة الجبال إلى موجته ... لينشد داوود أناشيده ... وتندد
 الجبال من ورائه ...
 ويتحول الكون كله ... إلى أغرودة واحدة ... تسبحنا وتؤوب لنا ! ..
 واسمع ما يؤيد ذلك من مزامير داوود ! ..
 « سبحوه يا جميع ملائكته .
 « سبحوه يا كل جنوده .
 « سبحيه يا أيتها الشمس والقمر .
 « سبحيه يا جميع كواكب النور .
 « سبحيه يا سماء السماوات ويا أيتها المياه التي فوق السماوات » ! ..
 انه يهتف بجميع ملائكته ... في الكون كله ...
 انه ينادي جميع جنوده ... وما يعلم جنود ربك إلا هو ...
 انه ينادي الشمس والقمر ...
 انه ينادي جميع كواكب النور ... أي الشمس المضيئة ...
 انه ينادي سماء السماوات ... والمياه التي فوق السماوات ...
 يناديها جميعاً ... ليسبحوا ربهم ...
 وهذا يكشف لنا ... آفاق « يا جبال أوّبي معه » ...
 وآفاق ... « إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالمشي والاشراق » ...
 وما الشمس وما القمر وما الكواكب إلا جبال ... كمثل مادية متفاوتة
 الأحجام ! ..

فداوود حين هتف بهؤلاء جميعاً ... انما هتف بمملكته الباطنية التي استخلفه
الله فيها ... وأذن له أن تسبح معه ... وأن يقودها ... في موجة واحدة ...
من التسبيح والتمجيد والتهليل لربها ...

فهل انتهت مملكة داوود الباطنية عند حد تسخير الجمال معه يُسبحن ...
أم امتدت إلى مراتب أخرى ؟ ..

« والطيور » انا سخرنا له الطير ... جميع أنواع الطير والحيوان وما دون
ذلك من الكائنات ... كلها مسخرة لداوود في دائرة التسبيح ...

« والطيور محشورة » مجموعة له ... في موجة واحدة ... في موجة
تسبيحية واحدة ...

وليس معنى « محشورة » كما ذهب بهض المفسرين ... أي تجتمع عليه تستمع
لصوته الجميل وهو يؤوب لربه ... كلالان الطيور كما هي في مواطنها من
الكرة الأرضية ...

ولكنها « محشورة » كلها في موجة واحدة ... وإن تفرقت أبدانها ...

وهو ما يعبر عنه في لغة اللاسلكي ... بضم الموجات ...

وداوود يؤوب ... إنه أواب ... وهي تؤوب من ورائه تأويباً ...

سيمفونية واحدة ... يقودها داوود ...

واسمع إلى ما يؤيد ذلك من مزامير داوود :

« سبحي الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللُّحج .

« النار والبرَد والثلج والضبَاب الريح العاصفة الصانعة كلمته .

« الجمال وكل الآكَام الشجر المشعر وكل الأرز .

« الوحوش وكل البهائم الدبابات والطيور ذوات الأجنحة » ...

وهذا من تفسير قوله تعالى « والطيور محشورة كل له أواب » محشورة في
أماكنها من الأرض ... وكل منها له أي لداوود أواب ... يؤوب ويسبح
ويغني لنا وراء تسبيح داوود وترجيحه وتأويبه ...

وها هنا نص على الطير ... وفي موطن آخر نص على ما سواها من المراتب
من حيوان البر والبحر ودوابها .

« وورث سليمان داوود » في كل ما آتاه الله ظاهراً وباطناً ...

« وقال يا أيها الناس علمنا منطلق الطير » جميع الطيور بأنواعها ولغاتنا ...

« واوتينا من كل شيء » ومنها الحيوان والأسماك والأشجار والمياه

والسحاب ...

تماماً كما هتف داوود في مزاميره هؤلاء جميعاً ... أن يسبحوا ربهم ...

وما كان هتاف داوود وندائه هؤلاء جميعاً أن يسبحوا مجرد نزعة صوفية

لتمجيد الله ...

كلا ... بل كلهن مسخرات له ... يأتقرن بأمره ... في مجال التسبيح ...

فهو ينادي قوماً تحت أمره ... فجين يقول لشيء منها « سبحي » أي أمرك

أن تسبحي ... وهي بدورها تسرع إلى تنفيذ الأمر وتنطلق تسبح وتسبح ! ...

ثم ماذا ؟ ...

ثم هل قلنا شيئاً ...

ما قلنا شيئاً ... حتى الآن ... اننا ما زلنا نقف على شاطئ البحر وقد

بهرتنا أمواجه ...

أما البحر نفسه ... فلم تسبح فيه بعد ...

والآن تحدت القضية الخطيرة بمض الشيء ... فعلمنا أن الجبال والطيور ...

وهما رمزان للمادة والكائنات الحية ... الجبال رمز للأرض والكواكب

والشموس والبحار والماء والسحاب وكل الماديات ... ومرتبة الجماد ...
والطير ... رمز للكائنات الحية فوق الأرض بعد مرتبة الجماد ... كالطيور
والزواحف والأسماك والحيوانات وغيرها ...
كل هؤلاء مسخرات لداود ...

ولكن في دائرة واحدة ... هي دائرة التسبيح « معه ... يُسبِّحون »
فقط ... معه في هذا المجال فقط ...

أما النواميس الأخرى ... الحاكمة على هذه الكائنات جميعاً ... المسخرة
لها الى تقديرها ... فلا سلطان لداود عليها ... لأن التدخل في هذه النواميس
قد يؤدي الى تخلخل في انتظامها العام ...

هذا وجه ... ووجه آخر ... ما هو هذا التسبيح؟!

أم الكتاب ... أو ناموس النواميس ... هو قوله تعالى :

« وإن من شيء إلا يُسبِّح بحمده .

« ولكن لا تفقهون تسبيحهم » ...

فالناموس العام ... الذي ينتظم كل شيء ... من أصغر شيء إلى أكبر
شيء ... أو يكون ... انه يسبح بحمد ربه ...

هذا هو الناموس العام ...

ومن ورائه ناموس عام آخر ... هو : « ولكن لا تفقهون تسبيحهم » كل
مرتبة محجوبة عن غيرها من المراتب في تسبيحها ... فلا تفقه شيئاً من تسبيح
غيرها من المراتب ...

فالناس يسبحون ... والحيوانات تسبح ... ولكن لا الناس يفقهون
تسبيح الحيوانات ... ولا الحيوانات تفقه تسبيح الناس ...

والشجر يسبح بحمد ربه ... والطير يسبح بحمد ربه ...

ولكن لا الشجر يفقه تسبيح الطير ... ولا الطير يفقه تسبيح الشجر ...
بل أبعد من ذلك ... ان الكائنات كلها ... لكل مرتبة منها صلاة !..
صلاة ذات طقوس وحركات وهذه أعجب وأعجب !..
« والنجمُ والشجرُ يسجدان » ..
النجوم لها سجود وصلاة ...
والشجر له سجود وصلاة ...
ولكن لا النجم يفقه صلاة الشجر ... ولا الشجر يفقه صلاة النجوم ...
وأخرى أبهج وأعجب !..
وتقرر أن لكل شيء تسبيحاً ... ولكل شيء صلاة ... غير التسبيح
العام !..

اسمع :

« ألم تر أن الله يُسبح له من في السماوات والأرض .
« والطيورُ صافاتٍ .
« كلُّ قد عم صلاته وتسبيحه » والله عليم بما يفعلون » ..
ما رأيك الآن ؟ ١٩ .
« كئلاً » ١٩ .
كل شيء ...
« قد علم صلاته » له صلاة ...
« وتسبيحه » وله تسبيح عام لربه ... غير الصلاة !..
« والله عليم بما يفعلون » هو وحده الذي يعلم صلاة كل شيء ... وتسبيحه ...

أما أنتم فالقانون العام ... « ولكن لا تفقهون تسبيحهم » ... !
 المراتب إذاً محجوبة بعضها عن بعض ...
 كل مرتبة تتر وتزوج إلى رهبها ... ولكن لا تفقه عن تسبيح غيرها شيئاً ! ..
 لماذا هذا الحجاب ؟ ! ..
 نصلحة حياة المراتب ...
 فلو رفع الحجاب فيما بين المراتب ... لا يطيق أصحابها ما يشهدون ! ..
 فالحجاب رحمة ... عازل بينك وبين ما لا تحتاج إليه ...
 وأقاصيص العسارفين ... الذين كُشف عنهم بعض الحجاب ... ورأوا
 وسموا وتسبيح البحار، والأسماك والجبال، والأشجار ... فلم يطيقوا ذلك ودعوا
 الله أن يردهم إلى الحجاب رحمة بهم ...
 أقول ... الأقاصيص في ذلك كثير ! ..
 فماذا حدث هنا ... في أمر داوود عليه السلام ...
 « ولقد آتينا داوود منا فضلاً .
 « يا جبال أوبي معه » ...
 العمل الذي حدثت أنت ناموس « ولكن لا تفقهون تسبيحهم » ... رفع
 بالنسبة إلى داوود ... وهذا فضل خاص به « منسأً فضلاً » ...
 فسمع داوود ... تسبيح الثلاثة ... وتسبيح الكواكب ... وتسبيح
 الأشجار والبحار ... وتسبيح الطير والحيوان والجراثيم ... وتسبيح كل شيء
 من حوله ...
 ولكن مجرد السماع ... لا يفيد إدراك ما يسمع ولا دلالاته ...
 وهنا هنا يأتي فضل آخر « ولقد آتينا داوود وسليمان علماً » ...

فعلم داوود ... ماذا تقول تلك المراتب كلها في تسبيحها ... وكيف
تسبح ... وكيف تصلي؟! ..

ولكن السماع ... وفَسَّهْم ما يقولون ... لا يكفيان ... فلا بد من الرؤية
والمشاهدة ... فيشهد هذه الكائنات شهوداً ... وهذا ما كان :

« وأوتينا من كل شيء » ...

ولكن كيف يمكن لداوود ... وهو آدمي تحكمه محدودية الآدمية ...

كيف يَسْمَع سمعه هذه الأصوات جميعاً ...

وكيف يميز بينها جميعاً ...

وكيف يفهمها جميعاً ...

وكيف يشهدا جميعاً ...

ثم كيف يستطيع أن يأمرها جميعاً ... لتسبح ربها كلها ...

وتنتظم في موجة واحدة ...

وهو على رأسها ...

وينشدون نشيداً واحداً ... لربهم الواحد ...؟

لعل ذلك كان كذلك ...

وحين تجلى الله ... على داوود ... باسمه السميع ...

هنالك سمع داوود ... ما شاء الله له أن يسمع ... بالله ...

وحين تجلى الله ... على داوود ... باسمه البصير ...

هنالك ... رأى داوود ما شاء الله له أن يرى ... بالله ...

وحين تجلى الله ... على داوود ... باسمه العليم ...

هنالك ... علم داوود ما شاء الله له أن يعلم ... بالله ... « ولقد آتينا
داوود وسليمان علماً » ...

انه موجة ...

« ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل .

« حتى أحبه .

« فإذا أحببته .

« كنت سمعه الذي يسمع به .

« وبصره الذي يبصر به » ...

هنالك نادى داوود ... أولئك جميعاً ... أن يسبحوا ...

فسبحوا جميعاً ...

وفسّهم داوود عنهم ...

وفهموا عنه ... رُفعت الحجب ... بين المراتب ...

وخاطبوه ... وخاطبهم ...

وشهد الكون ... قطب زمانه ...

يقود المراتب ... تسبيحاً ... وتعظيماً ... وثناء ...

والمراتب كلها ... تُرجّس من ورائه ... وتؤوب ...

« كُئِلُّهُ ... له ... أوَّابٌ » ...

ذلكم ... داوود ... الباطن ...

فأين داوود ... الظاهر ...

أين داوود ... المَلِك ...

من داوود . . . الباطن ؟ . . .
انها النبوة . . . لو فتح لنا منها بمقدار خرم إبرة . . . لاحترقنا . . .
هل قلنا شيئاً ؟ . . .
انها مجرد ظنون . . . والله أعلم . . .
أما : كيف كان هذا ؟
فاخساً . . . ولا تقل كيف ؟ . . .
فالله . . . هو الذي تجلى . . .
وعبده داوود . . . هو الذي سمع . . . ورأى . . . وعلم . . .
أما نحن . . . فنُسِّكُكم تسليماً . . .
كل هذه العجائب . . . من داوود . . . الباطن . . .
لا يلتفت اليها كثير من الناس . . .
لأن الناس مفتونون . . . مبهورون . . . بداوود الظاهر . . . الملك . . .
أما هذا الوجه . . . الذي هو البحر اللُّجِّي . . . من شخصية داوود . . .
فإنهم لا يعلمون عنه شيئاً . . .
لأنه . . . « مِنَّا فَضلاً » . . .
سرّاً . . . مِنَّا . . . إلى عبدنا داوود . . .
يسمع داوود ما يسمع . . .
ويرى ما يرى . . .
ويفهم ما يفهم من لغات الكائنات . . . ويخاطبها وتخاطبه . . .
ويأمرها . . . وتطيعه . . .
ويغرد . . . وتغرد معه . . .

كل هذا الضجيج والمجيج ... والأمواج الزاخرة الصاخبة ...
ولا يسمع الناس منها شيئاً ... ولا يبصرون ... ولا يعلمون منها شيئاً ...
لأنها تجري ... سرّاً بين الرب ... وعبده ...
اختصه الله به ... وفضل عليه به ...
فلا سبيل للناس ... إلى مزاحمته فيه ...
وهكذا شأن النعم الباطنة ... هي سر مكنون بين الله ... وعبده !..
هي جنّة خاصة ... بصاحبها ... لا يدخلها أحد سواه !..

كلُّ ... لهُ ... أوَّابٌ ... ١٩

فرغنا ...

من محاولة فَسِّهم ... كيف كُشف الغطاء عن داوود ...
فسمع بالله ... ورأى بالله ... وعلم بالله ... تسبيح الكائنات ...
والجمادات ... والطير ... والحيوان ...
وفسِّهم ما يقولون ... وخاطبها ... وأمرها ... أن سبِّحي ... فسبَّحت ...
وأطاعت له أمراً! ..
بقي هناك وجه آخر ... أخطر وأعقد ... وأشدَّ غرابة ...
هذا داوود ... قد سمع وشهد وفسِّهم لغات الكائنات وخاطبها ...
ولكن الوجه الآخر ... والأعجب ... كيف فهمت هي عن داوود ...
وأدركت عنه ... وسبَّحت بتسبيحه ... وعظمت بتعظيمه ... وأثنت على
ربها بثنائه ... ولغة داوود غير لغتها!؟
كما أن الكائنات لا تُحصى عدداً ... ولا تتناها اختلافاً ... فكيف توحدت
كلها في لغة واحدة ... لتردد خلف داوود ... وترجع بترجيئه!؟
ها هنا نتأمل قوله تعالى :
« كُلُّ لُغَةٍ أَوَّابٌ » ...
فنجده أنفسنا أمام بحر عميق ... يموج بموج كالجبال ...

كل الكائنات المسخرة لداوود ... تؤوب معه ... وتؤوب له ...
يسبح داوود ... فتسبح الجبال والطير معه ...
وينشد ... وينشدون وراءه ...
ويُرَجِّع ... ويُرَجِّعون ما يقول ...
كُتِرَى هل رُفِعَ الحجاب عن الكائنات ... ففهمت ما يقول داوود ...
وما يريد منها؟! .
إن شيئاً من هذا نجد الإشارة اليه في قوله تعالى عند قصة الهدد
مع سليمان ...
ومعلوم ان حقيقة سليمان ... هي حقيقة داوود ... حيث ورث سليمان
داوود ... ثم زاده ما شاء ...

« فمكث غير بعيد فقال :

« أحطت بما لم تحط به .

« وجنتك من سبأ بنياً يقين » .

الهدد هنا يخاطب سليمان ... ويفهم أنه يبحث عنه ... فجاء يدافع
عن نفسه !..

وسليمان من جهة أخرى ... يفهم ما يقول الهدد ... ويقول له فيما قال :
« سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين » !.

حوار بين سليمان وبين الهدد ...

هذا يفهم ذلك ... وذاك يفهم هذا؟! .

بل أعجب من ذلك ... كائن صغير ... نملة ... تتحدث إلى النمل ...
وسليمان يتبسم ضاحكاً من قولها !..

فهل رُفِعَ الحجاب ... عن الهدهد... وعن النملة... ففهمت عن سليمان...
ما يقول... كما رُفِعَ الحجاب عن سليمان ففسّهم عنها ما تقول؟!

الحق... أن الأسلم ها هنا... هو التسليم...

فالكائنات... جيمين... عبادٌ لله وهو أعلم بهم...

وهذه أسرار... ولا يُتَكَلَّمُ فيها بالرأي...

ولكن يكفي أن نعلم أن هذه الكائنات سخرها الله لداوود... وأمرها أن
تسبح معه... وله...

وأنه يفهم لسانها... ويعلم كلامها...

وهي تفهم لغته... وتعلم ما يريد منها...

وأنتهم جميعاً... هو... وهي... يسبحون ويؤوبون ويرجمون...

وأن الأمر معجزة... والمعجزات خوارق... لا يأتي بها إلا الله... ولا
تستطيع العقول إدراكها... لأنها صادرة عن القدرة... والقدرة
لا يعجزها شيء...

ثم ماذا؟!.

ثم قوله تعالى «كُلُّ لُهُ أَوَّابٌ».

له؟!.

لمن؟! الله... أم لداوود؟!.

هذا من ذلك... وذلك من هذا!..

كلُّ... لله... أَوَّابٌ...

على مستوى الوجود كله...

كل شيء ... لله ... أوأاب ...
نفس ناموس « وإن من شيء إلا يسبح بحمده » !...
والأخرى ... وهي أقرب إلى العقول ...
كل ... من الطير والجمال ... لداوود ... أوأاب ...
وهذا لا ينفي ذلك ...
وهذا من إعجاز ذلك الكتاب ... لا ريب فيه ..

حقيقة داوود ... كما يراها ...
ابن العربي ...!

أنه ...

الإمام الأكبر ...

والكبريت الأحمر ...

كما يسميه ... العارفون؟ ..

انه ابن العربي ...

قال في كتابه الخالد ... العديم النظير ... [فصوص الحكيم] ...

قال في كتابه ذلك ... فصل [فص حكمة وجودية في كلمة داوودية] ...

ونثبت هنا ما قاله الشيخ الأكبر بالبنط العريض ... تمييزاً عما قاله

القاشاني ... شرحاً على أقوال ابن العربي ...

وكلمات ابن العربي هنا ... تعتبر من نفائس ما كتب عن الأنبياء ...

من أجل ذلك أثبتناها ... كما هي ...

على أن يوضع في الاعتبار عند قراءتها ... أو قراءة الشرح ... ان ذلك

مذهب الشيخ الأكبر ... ومذهب الشارح ... وهو غير ملازم لأحد ... وإنما

هو أفق أعلى ...

يشمخ أماننا ... أمواجاً عالية ... في فهم شخصية داوود ...

وإدراك عجائبها ..

[فص حكمة وجودية في كلمة داودية]

« إنما خصت الكلمة الداودية بالحكمة الوجودية .

« لأن الوجود إنما تم بالخلافة الإلهية في الصورة الإنسانية .

« وأول من ظهر فيه الخلافة في هذا النوع كان آدم .

« وأول من كمل فيه الخلافة بالتسخير داود حيث سخر الله له الجبال والطير في ترجيع التسبيح معه كما قال (- إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق ، والطير محشورة كل له أواب - وجمع الله به فيه بين الملك والخطاب والنبوة في قوله - وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب .

« وخاطبه بالاستخلاف ظاهراً صريحاً هو داود عليه السلام .

« ولما كان التصرف في الملك بالتسخير أمراً عظيماً لم يتم عليه بانفراده ، وهبه سليمان وشركه في ذلك لقوله - ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالوا الحمد لله الذي فضلنا - الآية .

« وقال - ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً -) .

« فكان نعمة لهما في الخلافة بما خصصه الله به من حال التصرف في العموم فبلغ الوجود بوجود كماله في الظهور .

« وهذا هو السر في اقتران الحكمة الداودية بالحكمة السلمانية .

« وتقديم السلمانية على الداودية للمزية الظاهرة له بخصوصية ، فكأنها حكمة واحدة فيما يرجع إلى ظهور كمال الوجود .

« وحكمتان في ظهور الرحمانية في الفرع ، إذ كل فرع فيه ما في الأصل وزيادة تخصه ، فقدم للزيادة وللتبني على أنها حكمتان متميزتان بتقديم الآخر على الأول كما فعل الله بقصة البقرة .

[اعلم انه لما كانت النبوة والرسالة اختصاصاً إلهياً ، ليس فيها شيء من الاكتساب ، أعني نبوة التشريع ، كانت عطاياها تعالى لهم عليهم الصلوة والسلام من هذا القبيل ، مواهب ليست جزاء ، ولا يطلب عليها منهم جزاء .

« فاعطاؤه إياهم على طريق الانعام والأفضال .

« فقال - ووهبنا له اسحاق ويعقوب - يعني لابراهيم الخليل .

« وقال في ايوب - ووهبنا له أهله ومثلهم معهم -

« وقال في حق موسى - ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً - إلى

مثل ذلك .

« فالذي تولاهم أولاً هو الذي تولاهم آخراً ، في عموم أحوالهم أو أكثرها .

« وليس إلا اسمه الوهاب .

« وقال في حق داود - ولقد آتينا داود منا فضلاً - فلم يقرن به جزاء

يطلب منه ، ولا أخبر أنه أعطاه هذا الذي ذكره جزاء .

« ولما طلب الشكر على ذلك بالعمل طلبه من آل داود ، ولم يتعرض للذكر

داود ليشكره الآل على ما أنعم به على داود] .

* * *

قال القاشاني :

« اعلم انه لما كان أصل الوجود الفائض على الأشياء من محض الجود ، كان

كأله الذي هو الخلافة الإلهية أيضاً من محض الجود .

« فكانت للنبوة والرسالة التي لا بد للخلافة الإلهية منها ، مع التصرف في

الملك بالتسخير اختصاصاً إلهياً من حضرة اسم الجواد الوهاب .

« ليس للكسب والعمل فيه مدخل لا أولاً بأن يكون جزاء لعمل منهم ،

ولا آخراً بأن يطلب منهم شكراً وثناءً ، ويكون قضاء لحق النعمة عليهم ، كما ذكر في الآيات المذكورة .

« وإنما خصص النبوة بالتشريع احترازاً عن نبوة الإنبياء العام من البحث في معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وآثاره ، وعن علم الوراثة في قوله : « العلماء ورثة الأنبياء » وقوله : « علماء أمي كأنبياء بني إسرائيل » .

« فإن تحصيل علوم النبوة بالكسب والعمل الذي يشره في قوله عليه الصلاة والسلام « من عمل بما علم الله ما لم يعلم » نوع النبوة الكسبية .

« فالذي تولاها أولاً بأن أعطاهم تفضلاً من غير عمل منهم ، تولاها آخراً بأن يحفظ عليهم تلك النعمة في جميع الأحوال أو أكثرها ، ويزيدها ولا يطلب منهم شكرها ، مع أنهم لا يخلون بالقيام عن شكرها .

« لأن نشأتهم النبوية تعطيهم القيام بحقوق العبدانية على أكمل الوجوه .

« كما قال عليه الصلاة والسلام : « أفلا أكون عبداً شكوراً » .

« ولهذا ذكر أنه أتى داود شكراً فضلاً ، ولم يذكر أنه أعطاه ما أعطاه جزاء لعمله ، ولم يطلب منه جزاء على ذلك الفضل .

« وإنما طلب الشكر بالعمل من آل داود على النعمة التي أنعم بها عليهم وعلى آل داود ، ولأن النعمة على الأسلاف نعمة على الأخلاف » .

* * *

ثم يقول الامام الأكبر ، ابن العربي :

[فهو في حق داود عطاء نعمة وإفضال ، وفي حق آل على غير ذلك لطالب المعاوضة ، فقال الله تعالى - عملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور -

« وإن كانت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد شكروا الله تعالى على ما أنعم به عليهم ووهبهم ، فلم يكن ذلك عن طلب من الله ، بل تبرعوا بذلك من نفوسهم .

« كما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه شكراً لما غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

« فلما قيل له في ذلك قال « أفلا أكون عبداً شكوراً » .

« وقال في نوح -- إنه كان عبداً شكوراً --

« فالشكور من عباد الله قليل .

« فأول نعمة أنعم الله بها على داود ان أعطاه اسماً ليس فيه حروف من حروف الاتصال ، فقطعه عن العالم بذلك إخباراً لنا عنه بمجرد هذا الاسم ، وهي الدال والألف والواو] .

قال القاساني :

« أي أخبره كسناً أنه قطعه عن العالم من حيث كونه غيراً وسوى .

« وأخبرنا إيماءً ورمزاً بهذا الاسم بظهور معنى القطع فيه ، فإن الألقاب تنزل من السماء » .

* * *

ثم يقول الامام الأكبر :

[وسمى محمداً صلى الله عليه وسلم بحروف الاتصال والانفصال ، فوصله به ، وفصله عن العالم .

« فجمع له بين الحالتين في اسمه ، كما جمع لداود بين الحالتين من طريق المعنى] .

قال القاشاني :

« وهو اختصاصه بالجمع بين النبوة والرسالة والخلافة والملك والعلم والحكمة
والفصل ، بلا واسطة غيره » .

* * *

ثم قال الامام ابن العربي :

[ولم يجعل ذلك في اسمه فكان ذلك اختصاصاً لمحمد على داود عليهم
الصلوة والسلام .

« أعني التثنية عليه باسمه ، فتم له الأمر عليه السلام من جميع جهاته .

« وكذلك في اسمه أحمد ، فهذا من حكمة الله » .

قال القاشاني :

« أي اختصاصها بالاسمين الدالين بحروفها على ما ذكر من المعنيين فيهما
من حكمة الله التي في تسميتها ، لمن عقل عن الله ، ولم يعقل شيئاً من الأشياء ،
إلا شاهد حكمة الله المودعة فيه » .

* * *

ثم يقول الامام الأكبر :

[ثم قال في حق داود فيما أعطاه على طريق الانعام عليه ترجيع الجبال
معه التسبيح ، فتسبح بتسبيحه ، ليكون له عملها .

« وكذلك الطير » .

قال الفاشاني :

« في الإنعام عليه بترجييع الجبال والطير معه التسبيح ، إيماء إلى حكمة
ترجييعهما ، بكون عملهما له .

« وهي أن الجبال تحكي بصورها رسوب الأعضاء والتمكن والشبات ، التي
هي مخصوصة بالكامل في ظواهرهم .

« والطير تحكي بطيرانها حركة القوى الروحانية فيه ، وفي كل عبد كامل إلى
تحصيل مطالبها ، عند تسبيح الكامل ، بما يخصه من تنزيه الله عن النقص ،
وبراءته عن صفات الإمكان وأحكامه ، والاتصاف بصفات الوجود وأحكامه .

« ولما كان داود من كمال توجهه وتجرده وانقطاعه إلى الله بالحببة الذاتية .

« والهيمان ، والعشق ، وإيثار جنابه على نفسه ، وما يتعلق به .

« تبعته ظواهره وبواطنه وجوارحه .

« وقواه كلها .

« أظهر الله تعالى سر الخراط أعضائه وقواه الروحانية ، في التنزيه
والتقديس ، في صور الجبال والطير ، متمثلة له .

« فرجعت معه التسبيح .

« لأن الغالب في زمانه تجلى الاسم الظاهر على الباطن ، لمسا بقى من حكم
الدعوة الموسوية إلى الاسم الظاهر .

« فكانت الحقائق والمعاني مظهر صور قائمة لهم ، لما أهله وخصه به من كمال
ظهور الوجود » .

* * *

ثم قال الامام :

[وأعطاء القوة ونعمته بها] .

قال القاشاني :

« في قوله - واذكر عبدنا داود ذا الأيد - أي القوة » .

* * *

ثم يقول الامام :

[وأعطاء الحكمة] .

قال القاشاني :

« أي سياسة الخلق ، وتدبير الملك ، بوضع الأشياء مواضعها .

« وتوجيه الأكوان إلى غاياتها ، بالتأكيد الإلهي ، والأمر الشرعي » .

* * *

ثم يقول :

[- وفصل الخطاب -] .

قال الشارح :

« أي الإفصاح عن حقائق الأمور على ما هي عليه .

« وفصل الأحكام ، وقطع القضايا ، باليقين من غير شك وارتياب ، ولا

توقف فيها » .

* * *

ثم يقول الامام :

[ثم المنة الكبرى ، والمكانة الزلوى ، التي خصه الله بها ، التنصيص على خلافته .

« ولم يفعل ذلك مع أحد أبناء جنسه [.

وفي نسخة بأحد ، وهو أفصح من اتحادهما في المعنى .

« وإن كان فيهم خلفاء ، فقال - يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى -

« أي ما يخطر لك في حكمك من غير وحي مني - فيضلك عن سبيل الله - أي عن الطريق الذي أوحى به إلى رسلي .

« ثم تملطف سبحانه معه فقال - إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب -

« ولم يقل له : فإن ضللت عن سبيلي فلك عذاب شديد .

« فإن قلت : فآدم قد نص على خلافته ،

« قلنا : ما نص مثل التنصيص على داود .

« وإنما قال للملائكة - إني جاعل في الأرض خليفة - ولم يقل إني جاعل آدم خليفة .

« ولو قال أيضاً ، لم يكن مثل قوله - إنا جعلناك خليفة - في حق داود .

« فإن هذا محقق ، وذلك ليس كذلك .

« وما يدل ذكر آدم في القصة بعد ذلك على أنه عين ذلك الخليفة الذي
نص الله عليه .

» فاجعل بالك لاخبارات الحق عن عبادته إذا أخبر .

« وكذلك في حق إبراهيم الخليل عليه السلام – إني جاعلك للناس إماماً –
ولم يقل خليفة .

» وإن كنا نعلم أن الامامة ههنا خلافة .

» ولكن ما هي مثلها ، لأنه ما ذكرها بأخص أسماؤها وهي الخلافة .

» ثم في داود عليه السلام من الاختصاص بالخلافة أن جعله خليفة 'حکم' ،
وليس ذلك إلا عن الله [.

قال القاشاني :

« أي لا تسند الحُسْم إلا إلى حضرة الاسم الشامل كلها وهو الله – فهات
الحكم لله .

» والإمامة بالنسبة إلى الخلافة ، كالولاية بالنسبة إلى النبوة .

» فكما أن الولي ، قد لا يكون نبياً ، كذلك الإمام قد لا يكون خليفة .

» والخليفة بمعنى من يخلف ، فلا يكون خليفة حتى يحكم الله على خلافته .

» وداود كان كذلك .

» قد أمره الله بالحُسْم .

* * *

ثم يقول ابن العربي :

[فقال له – فاحكم بين الناس بالحق –

« وخلافة آدم قد لا تكون من هذه المرتبة ، فتكون خلافته أن يخلف من كان فيها قبل ذلك ، لا أنه نائب عن الله في خلقه ، بالحكم الالهي ، وإن كان الأمر كذلك وقع .

« ولكن ليس كلامنا إلا في التنصيص عليه والتصريح به .

« ولله في الأرض خلافة عن الله وهم الرسل .

« وأما الخلافة اليوم فعن الرسل لا عن الله .

« فانهم ما يحكمون إلا بما شرع لهم الرسول ، لا يخرجون عن ذلك .

« غير أن ها هنا دقيقة ، لا يعلمها إلا أمثالنا .

« وذلك في أخذ ما يحكمون به مما هو شرع للرسول عليه السلام] .

قال القاشاني :

« يعني خلفاء الرسول لهم الخلافة الظاهرة ، لا يخرجون عما شرع لهم .

« ومنهم من يأخذ الحكم الذي شرع الرسول عن الله .

« فهو خليفة الله باطناً ، يأخذ الحكم عنه .

« وخليفة الرسول ظاهراً بأن يكون حكمه المأخوذ من الله ، مطابقاً للحكم

المشروع الذي ورثه من الرسول .

« فهو مأثور من قبل الله أن يحكم بحكمه ، الذي جاء به الرسول في خلقه . »

* * *

ثم يقول الامام :

[فالخليفة عن الرسول من يأخذ الحكم بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم ،

أو بالاجتهاد الذي أصله أيضاً منقول عنه عليه الصلاة والسلام .

« وفيما من يأخذه عن الله ، فيكون خليفة عن الله بعين ذلك الحكم ، فتكون
المادة له من حيث كانت المادة لرسوله عليه الصلاة والسلام .
« أي مأخذُ حكمه حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .
« فهو في الظاهر متبوع ، لعدم مخالفته في الحكم .
« كعيسى عليه السلام ، إذا نزل فحكم .
« كالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في قوله « أولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده » .

« وهو في حق ما يعرفه من صورة الأخذ مختص موافق ، هو فيه بمنزلة
ما قرره النبي عليه الصلاة والسلام ، من شرع من تقدم من الرسل .
« بكونه قرره فاتبعمناه من حيث تقريره ، لا من حيث أنه شرع
لغيره قبله .

« وكذلك أخذ الخليفة عن الله عين ما أخذه من الرسول عليه
الصلاة والسلام] .

قال القاشاني :

« أي الخليفة من الوالي الآخذ الحكم عن الله ، متبوع في الظاهر لعدم مخالفته
في الحكم ، كعيسى حين ينزل فيحكم بما حكم محمد صلى الله عليه وسلم ، فيما أمر
بإقتداء هدى الله ، الذي هدى به من قبله من الأنبياء .

« فإنه مختص بالحكم من الله باعتبار أخذه منه ، موافق لما كان قبله في صورة
الحكم ، صورته صورة الاقتداء .

« وهو مأمور به على وجه الاختصاص من عند الله .

« فهذا الخليفة مختص لأنه أخذ الحكم عن الله ، لا عما أخذه علماء الرسوم
بالنقل ، ومشارك لهم في ذلك الأخذ أيضاً فهو معهم » ...

* * *

ثم يقول :

[فنقول فيه بلسان الكشف خليفة الله .

« وبلسان الظاهر خليفة رسول الله .

« ولهذا مات رسول الله صلى عليه وسلم وما نص بخلافته عنه الى أحد ،
ولا عينه .

« لعله أن في عباد الله من يأخذ بالخلافة عن ربه ، فيكون خليفة عن الله ،
مع الموافقة في الحكم المشروع .

« فلما علم ذلك عليه الصلاة والسلام لم يتجر الأمر .

« فله خلفاء يأخذون من معدن الرسول والرسول ما أخذته الرسل
عليهم السلام .

« ويعرفون فضل المتقدم هناك .

« لأن الرسول قابل الزيادة ، وهذا الخليفة ليس بقابل للزيادة ، التي لو
كان الرسول قبلها فلا يعطى من العلم والحكم فيما شرع إلا ما شرع
للسول خاصة .

« فهو في الظاهر متبع غير مخاف ، بخلاف الرسول .

« ألا ترى عيسى عليه السلام لما تخيلت اليهود أنه لا يزيد على موسى مثل

ما قلنا في الخلافة اليوم مع الرسول آمنوا به وأقروه .
 « فلما زاد حكماً ، ونسخُ حُكماً قد قرره موسى عليه السلام ، ليكون
 عيسى رسولا ، لم يحتملوا ذلك لأنه خلاف اعتقادهم فيه .
 » وجهات اليهود الأمر على ما هو عليه فطلبت قتله .
 » وكان من قصته ما أخبرنا الله في كتابه العزيز عنه وعنهم .
 » فلما كان رسولا قبل الزيادة .
 » إما بنقص حُكم قد تقرر ، أو زيادة حُكم .
 » على أن النقص زيادة حُكم بلا شك [.
 » لأنه أخذ خلاف الأول ، كرفع القصاص مثلاً » .

* * *

ثم يقول الامام الأكبر :
 [والخلافة اليوم ليس لها هذا المنصب .
 » وإنما تنقص أو تزيد على الشرع ، الذي قد تقرر بالاجتهاد ، لا على
 الشرع الذي شرّفه به محمد صلى الله عليه وسلم] .
 قال الشارح : أي خوطب به مشافهة ، ونص عليه له ، فإنه لا يجوز
 الاجتهاد في مثل هذا المشروع والمنصوص ، وإنما يجتهد فيما لم يثبت عند
 المجتهد بنص » .

* * *

ثم يقول :
 [فقد يظهر من الخليفة ما يخالف حديثاً ما في الحكم فيتعخيل أنه من
 الاجتهاد وليس كذلك .

« إنما هذا الامام لم يشبث عنده من جهة الكشف ذلك الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو ثبت لحكم به .

« وإن كان الطريق فيه العدل عن العدل ، فما هو معصوم عن الوهم [.
« أي : فما ذلك العدل معصوم الخطأ » .

* * *

ثم يقول :

[ولا من النقل على المعنى ، فمثل هذا يقع من الخليفة اليوم .

« وكذلك يقع من عيسى عليه السلام .

« فانه اذا نزل يرفع كثيراً من شرع الاجتهاد المقرر ، فيبين برفعه صورة الحق المشروع الذي كان عليه الصلاة والسلام .

« ولا سيما إذا تعارضت أحكام الأئمة في النازلة الواحدة ، فنعلم قطعاً أنه لو نزل وحي أنزل بأحد الوجوه ، فذلك هو الحكم الالهي ، وما عداه وإن قرره الحق فهو شرح تقرير لرفع الحرج عن هذه الأمة واتساع الحكم فيها] .

قال القاشاني :

« يعني أن الخلافة المتقررة عن النبوة التشريعية والرسالة المنقطعتين بخاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ليس لها هذا المنصب بتغيير الأحكام الاجتهادية .

« وأكثر الخلفاء اليوم ، خلفاء الرسول ، لا يأخذون عن الله الأحكام ، بل عن الرسول بالنقل .

« وقد يكون فيهم الخلفاء الأولياء الذين يأخذون الأحكام عن الله ، مع موافقة الرسول فيها .

« فإنهم يأخذون من الحق ما أخذه الرسول ، فلا يغيرُ حُكماً ، إلا أنه قد يظهر من أحدهم ما يخالف بعض الأحاديث في الحكم ، مع أن ذلك الحديث ثابت الإسناد في الظاهر ، نقله العدل عن العدل إلى رسول الله ، لكنه لو ثبت عنده بالكشف كونه عن النبي لحكم به ، فيحكم فيما يأخذ عن الله بخلافه ، إن أمر بذلك .

« فمتخيل الجاهل بحاله أنه إنما حكم بالاجتهاد على خلاف النص .

« وكذلك إن أمر بالسكوت عنه سكت .

« وإن أمر أن يبين أن الحديث ثابت ظاهراً من طريق النقل ، غير ثابت من طريق الكشف يثن .

« فإن العدل قد يخطيء ، وقد يحكم بما لم تثبت صحته بالنقل لثبوت صحته بالكشف .

« إما بالأخذ عن الله وتصحيح ذلك في الحضرة الإلهية .

« وإما باجتماع روحه بروح الرسول بعروجه إليه ، أو بنزول روح الرسول إلى مرتبته وبرزخه في عالم المثال .

« أو بالأخذ عن الله ، وسؤال الرسول عن صحة الحديث ، ونفى الرسول صحته .

« كما ينزل عيسى برفع كثير من الأحكام الاجتهادية المقررة في الشرع ، فيبين ما كان صلى الله عليه وسلم عليه .

« ولا سيما ما اختلف فيه من الأحكام وتعارض بين الأئمة .

« لأننا نعلم قطعاً أن الحكم لو نزل بالوحي لنزل على أحد الوجهين المتعارضين .

« هذا إذا كان الحكم إلهياً بالوحي ، وما عداه مما لم ينزل به الوحي فهو

شرع وتقرير قرر لدفع الحرج عن هذه الأمة ، بتمتضي قوله عليه الصلاة والسلام
« بعثت بالحنيفية السمحة » فاتسع فيه .

* * *

ثم يقول الامام :

[وأما قوله عليه الصلاة والسلام « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر
منهما » فهذا في الخلافة الظاهرة التي لها السيف .

« وإن اتفقا فلا بد من قتل أحدهما .

« بخلاف الخلافة المعنوية فإنه لا قتل فيها] .

قال الشارح :

« هذا جواب سؤال أو اعتراض يرد على ما ذكر من أن الخليفة الولي الذي
يأخذ الحكم عن الحق إذا خالف الحكم الثابت في الظاهر بالحديث الصحيح
إسناده بنقل العدل عن العدل ، وجب على أهل الظاهر والسلطان القائم بأمر
الشرع ، أي الخليفة الظاهر قتله بحكم هذا الحديث ، وكيف يصح حكمه ؟

« وجوابه أن هذا في الخلافة الظاهرة التي لها السيف والأخذ بالنقل فقط .

« فإنها وإن اتفقا في الحكم فلا بد من قتل أحدهما ، ليتحد الحكم .

« وأما هذه الخلافة الحقيقية المعنوية ، فلا تكون في كل عصر إلا لواحد ، كما

أن الله واحد ، وهو القطب ، وإنما هو نائبه .

« ولا يظهر الحكم إلا بأمر الله ، ولا يعارضه أحد .

« فإنه إن علم الحكم من عند الله ، ولم يأمره بالإظهار ، فلا يعارض الظاهر .

« وإن أمر فلا يقدر أحد على منعه ، لأنه منصور من الله ، فلا قتل في هذه الخلافة » .

* * *

[وإنما جاء القتل في الخلافة الظاهرة ، وإن لم يكن لذلك الخليفة] .
أي الخليفة الظاهر ...

* * *

[هذا المقام] .

أي : أخذ الحكم عن الله .

* * *

[وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عدل ، فمن حكم الأصل الذي به تخيل وجود إلهين] .

أي : ما جاء القتل إلا في الخلافة الظاهرة ، ولم يكن للخليفة الظاهري .
« الثاني مقام الأخذ من الله فهو خليفة رسول الله إن كان عادلاً ، فمن حكم الأصل الذي هو وحدة الله تعالى ، جاء قتله لأنه الثاني .
« وكونه ثاني الأول ، يخيل جواز وجود إلهين فهو محال » .

* * *

[و - لو كان فيهما إلهة إلا الله لفسدنا -

« وإن اتفقا ، فنحن نعلم أنها لو اختلفا تقديراً لفسد حكم أحدهما .
« فالنافذ الحكم هو إله على الحقيقة ، والذي لم ينفذ حكمه ليس باله .
« ومن هنا نعلم أن كل حكم ينفذ اليوم في العالم أنه حكم الله ، وإن .

خالف الحكم المقرر في الظاهر المسمى شرعاً ، إذ لا ينفذ حكم إلا لله في نفس الأمر .

« لأن الأمر الواقع في العالم إنما هو على حكم المشيئة الالهية ، لا على حكم الشرع المقرر ، وإن كان تقريره من المشيئة ، ولذلك نفذ تقريره خاصة ، فإن المشيئة ليست لها فيه إلا التقرير لا العمل بما جاء به [.

قال الشارح :

« بيان الملازمة : أنه لو كان فيهما آلهة غير الله كما زعموا ، أو إله آخر غيره ، لكانا إما إلهين بالذات ، أو بأمر زائد عليهما ، فإن كان الثاني لزم افتقارهما في الإلهية إلى الغير ، فلم يكونا إلهين . وإن كان الأول ؛ فإما أن يتخالفا في الإيجاد والاعدام أو يتوافقا ، فإن تخالفا تخالفا لتساويهما في القوة فلا يقع إيجاد ولا إعدام .

« وإن توافقا ، فإما أن ينفذ حكم كل واحد منهما في الآخر ، فلا يكون أحدهما إلهاً لنفوذ حكم الآخر فيه .

« وكذا إن لم ينفذ حكم كل واحد منهما في الآخر لعجز كل منهما ، فإن نفذ حكم أحدهما في الآخر دون العكس فالنافذ الحكم هو الإله دون الآخر .

« ولما كان النافذ الحكم هو الإله دون غيره علمنا أن كل حكم ينفذ اليوم في العالم أنه حكم الله ، وإن خالف الشرع المقرر في الظاهر ، إذ لا ينفذ إلا حكم الله في نفس الأمر .

« لأن كل ما وقع في العالم إنما وقع بحكم المشيئة الالهية لا بحكم الشرع .

« فإن تقريره إنما هو بالمشيئة ، ولذلك نفذ تقريره خاصة ، لا العمل به ، إلا ما تعلق به المشيئة من العمل .

« ولهذا قال بعد قوله --- إن هذه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله - » .

* * *

ثم يقول الشيخ الأكبر :

[فالمشيئة سلطاتها عظيم ولهذا جعلها أبو طالب عرش الذات ، لأنها لذاتها تقتضي الحكم .

« فلا يقع في الوجود شيء ولا يرتفع عنه خارجاً عن المشيئة .

« فإن الأمر الإلهي إذا خواف هنا بالمسمى معصية فليس إلا الأمر بالواسطة لا الأمر التكويني .

« فما خالف الله أحد قط في جميع ما يفعله من حيث أمر المشيئة .

« فوعدت المخالفة من حيث أمر الواسطة ، فافهم] .

قال القاشاني :

« يعني أن حقيقة المشيئة تقتضي الحكم لذاتها ، لأنها نفس الاقتضاء ، والاقتضاء هو تخصيص ما عينه العلم بالحكم ، فيقع ما تعلقت المشيئة به .

« فإن الأمر الإلهي الذي لا راد له ، وحكم الله الذي لا معقب لحكمه ، هو الذي تعلقت المشيئة بوقوعه وجوداً وعدمًا .

« فإن لم تقترن المشيئة بوقوع العمل ، واقترن الأمر به لم يقع .

« وإن اقترنت باقتران الأمر به يقع .

« لأن المشيئة إنما اقتضت وقوع الأمر بذلك العمل من المأمور المعين .

« فالمسمى معصية ومخالفة إنما هو باعتبار أمر المكلف والشارع المتوسط .

« لا باعتبار التكوين الذي هو المشيئة .

« فلا يخالف الله في أمره الذي لا واسطة فيه ، فلا رادّ له ولا معقب ، فهذا مقتضى الألوهية » .

* * *

ثم يقول الامام الأكبر :

[وعلى الحقيقة فأمر المشيئة انما يتوجه على ايجاد عين الفعل ، لا على من ظهر على يديه ، فيستحيل أن لا يكون .

« ولكن في هذا المحل الخاص فوقتاً يسمى به مخالفة لأمر الله ، ووقتاً يسمى موافقة وطاعة لأمر الله » .

قال الشارح :

« يعني أن أمر المشيئة إنما يتملق على الحقيقة بعين الفعل مقتضياً وجوده ، لا بمن ظهر على يديه ، وإنما عدى فعل التوجه بعلى لتضمينه معنى الحكم .

« يعني أن أمر المشيئة يحكم على الفعل بالوجود متوجهاً نحوه ، ولا يحكم على فاعله فيستحيل أن لا يقع .

« ولكن في المحل الخاص الذي يقع الفعل على يده يسمى وقتاً موافقة وطاعة لأمر الله ، وذلك إذا كان الشخص مأموراً بذلك الفعل من جهة الشرع ، ووقتاً مخالفة ومعصية لأمر الله اذا كان منهيماً في الشرع عن ذلك الفعل » .

* * *

ثم يقول :

[ويتبعه لسان الحمد والندم على حسب ما يكون] .

أي : حسب الموافقة لأمر الواسطة والمخالفة ، وإن كان العبد في كليهما موافقاً لأمر الإرادة مطيعاً لها .

وأخيراً يقول الشيخ الأكبر :
[وأما تليين الحديد ، فقلوب قاسية يلينها الزجر والوعيد تليين
النار الحديد .

« وإنما الصعب قلوب أشد قساوة من الحجارة .
« فإن الحجارة تكسرها وتكلسها النار ولا تليينها [.

ثم يقول :
[وما ألان الحديد له إلا لعمل الدروع الواقية تنبيهها من الله ، أن لا يتقي
الشيء إلا بنفسه .
« فإن الدروع يتقي بها السنان والسيوف والسكين والنصل ، فاتقيت
الحديد بالحديد .

« فجاء الشرع المحمدي بأعوذ بك منك .
فأفهم .

« هذا روح تليين الحديد .
« فهو المنتقم الرحيم .
« والله الموفق [.

قال القاشاني :

« أي إنما ألان لداود الحديد لعمل الدروع الواقية من الحديد ، تنبيهها له على
أنه لا يتقي الله إلا به .

« كما قال عليه الصلاة والسلام « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من
سخطك ، وأعوذ بك منك » .

« فصورة تلمين الحديد على يديه ، صورة ما أعطاه الله تعالى من قوة تلمينه للقلوب السامعة لكلامه ومزاميره ، القابلة لمعانها .

« كما أن تسبيح الجبال والطير ، وترجيحها إياه معه ، صورة تسبيحه في جوارحه وقواه .

« حق تشككت بالهيئة التنزيهية .

« وانخرطت بالكلية في سلك التقديس والتوحيد .

« وفتلمين القلوب روح تلمين الحديد .

« والتوحيد الذاتي في « أعوذ بك منك » روح اتقاء الحديد بالنار .

« فتوحيد القلوب يسبب لها روح الروح .

« فإنها اذا لانت وسعت الحق .

« فعرفت أن المنتقم هو الرحيم » .

* * *

هذا ما ذهب اليه ابن العربي في حقيقة داود ...

وما ذهب اليه القشاني شرحاً على أقوال الشيخ الأكبر ...

وأحب أن أنبه هنا ... ان ما قاله ابن العربي ... هو أفق رفيع ... قد لا يفهمه كل الناس ...

وإنما أثبتناه هنا ... لنلتمظ منه ... اشارات إلى بعض عجائب الشخصية وأسرارها ...

فإن شئت فافهم ... كما يقول ابن العربي ...

وإن شئت فلا تفهم ..

الملك ... داوود ...
يقضي على الثورة... ١٤

طال ...

سبحنا في آفاق داوود العليا ...
والآن نعود الى بلايا الدنيا ...
نعود الى عاصفة عاتية ... هبّت على المملّك الراسخ ... وكادت تقضي على
مملكه ... وتنزعه من العرش نزعاً !..

فما هي أحداث تلك الفتنة التي تعرض لها المملّك ؟!
نختصر أحداثها ... أن « أبشالوم » ابن داوود ... قاد ثورة مسلحة ...
ضد أبيه !..

« هو ذا ابني الذي خرج من أحشائي يطلب نفسي » ؟!
وانشق الشعب فريقين ...
أغلبية مع أبشالوم ... ابن الملك الشرعي ...
وصفّ أبشالوم قواته للمعركة ...
وصفّ داوود ... جبار المارك ... قواته ... للمعركة ...
إلا أنه أصدر أوامره ... ألا يقتلوا أبشالوم ... ولو ظفروا به ...
« وأوصى المملّك ... قائلاً ... ترفقوا لي بالفتى أبشالوم .
« وسمع جميع الشعب حين أوصى الملك جميع الرؤساء بأبشالوم » !..

ووقعت المعركة الرهيبة ...
مملك يقاتل ابنه ...
وابن يقاتل أباه ...
انها فتنة ... ولكنه المُلْك !..
والمُلْك هو الفتنة الكبرى !:
وانتصر داوود ...
« وكانت هناك مقتلة عظيمة في ذلك اليوم .
قتل عشرون ألفاً .
« وكان القتال هناك منتشراً على وجه كل الأرض .
« وزاد الذين أكلهم الوَعْر من الشعب على الذين أكلهم السيف في
ذلك اليوم » !..
الضحايا بالآلاف ...
القتلى بالألوف !..
إلا أن مصرع قائد الثورة ... كان أبشع ... رغم أوامر الملك الصريحة !..
« كان أبشالوم راكباً على بَغل .
« فدخل البغل تحت أغصان البُطمَة العظيمة الملتفة .
« فتعلق رأسه بالبُطمَة .
« وعُلِّق بين السماء والأرض .
« والبغل الذي تحته مرّ ...
فقال يُو آب إنني لا أصبر هكذا أمامك . فأخذ ثلاثة سهام بيده ونشبهها في
قلب أبشالوم ، وهو بعد حي في قلب البُطمَة .

« وأحاط بها عشرة غلمان حاملو سلاح يُو آب وضربوا أبشالوم وأماقوه » ..!

هكذا كان مصرع قائد الثورة ...

مصرع الابن ... الذي ثار على أبيه ... الملك النبي !..

وجاءوا الى الملك داوود ... يبشرونه بالنصر الساحق على أعدائه ...

فقال الملك :

« أسلامٌ للفتى أبشالوم » ؟!

فلما أنبأوه ... ان قد قُتل ... كانت صدمة ...

« فانزعج الملك ...

« وكان يبكي ويقول هكذا وهو يتمشى :

« يا ابني أبشالوم يا ابني .

« يا ابني أبشالوم .

« يا ليتني مُتُّ عوضاً عنك .

« يا أبشالوم ابني .

« يا ابني » ..!

ان الملك يتفطر ...

ولكنه الملك ... وهذا بلاؤه ..!

وانتصر داوود ...

واستقر العرش ...

وكانت فتنة ..!

وورث . . . سلیمان . . .
دا وود . . . ۱۴

الناموس . . .

يسري . . . ويجري . . . في الأدميين . . . مهبا كانوا . . . في أعلى عليين . . .
أو في أسفل سافلين . . .

« إنك ميت وإنهم ميتون ، » .

« وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد .

أفإن مت فهم الخالدون » ؟ ! .

ها هو الملك . . . النبي . . . يسمى إليه الموت . . .

« وشاخ الملك داود .

تقدم في الأيام .

« وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ ، ! . .

إنه الناموس . . .

« كل نفس ذائقة الموت » ! . .

ولكن هناك مملكة يتمتع تنظيم شئونها . . . قبل أن يفارق داوود هذه

الحياة . . .

« وقال الملك داود : ادع لي صادق الكاهن ، وناثان النبي . . .

« فدخلوا أمام الملك .

« فقال الملك لهم : خذوا معكم عبيد سيديكم .

« وأركبوا سليمان ابني علي البغلة التي لي .

« وانزلوا به إلى جيحون .

« ولهمسحه هناك صادق الكاهن وناثان النبي ملكاً . . .

« واضربوا بالبوق .

« وقولوا : ليحيى الملك سليمان .

« وتصعدون وراءه .

« فيأتي ويجلس على كرسيه » .

« وهو يملك عوضاً عنِّي ... »
لقد حسم داوود الفتنة ... وحدد الملك الذي يملك بعده ...
« وأركبوا سليمان على بغلة الملك داود .
« وذهبوا به إلى جيحون ...
« وضربوا بالبوق .
« وقال جميع الشعب :
« ليحيى الملك سليمان .
« وصعد جميع الشعب وراءه .
« وكان الشعب يضربون بالناي ويفرحون فرحاً عظيماً حتى انشقت
الأرض من أصواتهم » !..
فرغ داوود ... من اختيار خليفته ...
وأحس الملك بقرب وفاته ... فاستدعى سليمان وجعل يوصيه :
« أنا ذاهب في طريق الأرض كلها .
« فتشدد وكن رجلاً .
« احفظ شعائر الرب إلهك إذ تسير في طرقه وتحفظ فرائضه .
« وصايا وأحكامه وشهاداته .
« كما هو مكتوب في شريعة موسى .
« لكي تفلح في كل ما تفعل وحيثما توجهت » .
نبيّ ... مَلِك ...
يوصي ... نبيّاً ... مَلِكاً !..
وأخيراً ... ومات داوود ...
وورث سليمان داوود !..

فهرس

الصفحة	الموضوع
٧	مقدمة
٩	وكلمة الله هي العليا
١٥	ابحث لنا ملكاً
٢١	طالوت ملكاً
٣١	وقتل داوود جالوت
٤٣	طالوت يكيد لداوود
٥١	صهر الملك وقائد عام القوات المسلحة
٥٧	محاولات لاغتيال داوود
٦٥	وآتاه الله الملك
٧١	إذ دخلوا على داوود ففزع منهم
٨١	وإن له عندنا لزلفى
٨٥	يا داوود إنا جعلناك خليفة
٩١	حادث خطير في عهد الملك داوود
٩٧	وآتيننا داوود زبوراً

الصفحة	الموضوع
١١٧	الملك الصانم
١٢٥	الملك القانم
١٣١	الملك يا كل من عمل يده
١٣٧	الملك لا يفور إذا لاقى
١٤٣	اعملوا آل داوود شكراً
١٤٩	يا جبال أوّبي
١٦٥	كلّ نه أوّاب
١٧١	حقيقة داوود كما يراها ابن العربي
١٩٧	الملك داوود يقضي على الثورة
٢٠٣	وورث سليمان داوود
٢٠٧	فهرس

ماذا في هذا الكتاب !؟

فيه بدائع... روائع... الشخصية الجليلة... الجميلة...

شخصية .. النبي .. الملك... داوود؟!!

فيه... اسرار... انوار... « ولقد آتينا داوود منا

فضلاً... يا جبال أوبي منه... والطير .. والناله

الحديد . « !!!